

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين

إعداد

ميس "محمد خميس" إبراهيم خليلي

إشراف

أ.د. وائل أبو صالح

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين.

2014

صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين

إعداد

ميس "محمد خميس" إبراهيم خليلي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 21 / 9 / 2014، وأجيزت.

التوقيع

د. وائل أبو صالح

.....

.....

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. وائل أبو صالح/مشرفاً ورئيساً

أ. د. حسن سلوادي / ممتحناً خارجياً

د. عبد الخالق عيسى / ممتحناً داخلياً

الإهداء

أهدي جهدي في إنجاز هذا البحث إلى الله سبحانه وتعالى خالصاً لوجهه الكريم ، فمراه تتم الأمور
وبفضله نحاذا النعم ، فسبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العزيز الحكيم .

وإلى الرسول محمد صلوات الله عليه ، خاتم الأنبياء وشفيح الأمة ، فنسأل الله بحق رسوله الكريم
تسديد الخطى وصواب الرأي وانخير في كل أمر .

وإلى فلسطين الحبيبة التي نسال الله أن لا نفتح بها كفروسنا المفقود ، وإلى حماة هذا الوطن ، جنود
الله على الأرض وأبطال الغد الآتي .

وإلى كل محب للعلم ، وعاشق للغة الضاد التي كرمها الله وحفظها بحفظ كتابه العزيز .

وكذلك إلى الأهل والأصدقاء ؛ والدي الحبيبين ، أطل الله عمرها ، وأسأل عليهما ثوب الرضا
والعافية ، وإلى أخوتي وأخواتي وأبنائهم الأعزاء .

وإلى صديقتي آلاء ، سراجي المنير ، من نضني بعطفها عتمة الدرب ، وتجلو بركة ابتسامتها كدر
الأيام ومشاقها ، وإلى شقيقاتي لوجي من سكنوا شغاف القلب رغم البعد وقلية التلاقي ، صديقتي
مرام ونور .

إليكم جميعاً أهدي هذا البحث

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وإصحابه أجمعين :
قال تعالى : " لئن شكرتم لأزيدنكم " (إبراهيم : 7) وقال تعالى : " نعمة من عندنا كذلك
نجزي من شكر " (القمر : 35) .

لذا أتقدمُ بحزبِ شكري وعظيمِ امتناني إلى الأستاذِ الدكتورِ وائلِ أبو صالح ، الذي
منّ بعله علي ، وشملني برحابة صدره ، فكان خيرَ مشرفٍ وموجهٍ ،
والشكرُ موصولٌ إلى الأستاذِ الدكتورِ حسنِ سلوادي ، والدكتورِ عبد الخالق عيسى علي
تكرمهما بقراءة هذه الأطروحة ومناقشتها لي .

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر إلى موظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية ، وأخص
بالذكر الأستاذ " عبد الله نصر " ، فبارك الله له ، وأمدّه بالصحة والعافية .
ولا يفوتني أيضاً شكر جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية ، وكل من ساندني في إنجاز
هذه الأطروحة .

فلكم جميعاً وافر الاحترام والتقدير

الإقرار

أنا الموقع/ة أدناه، الرسالة التي تحمل العنوان:

صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين

أقرُّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة، أو لقب
علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other
degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالبة: ميس محمد دسيس "ابراهيم خليل"

Signature:

التوقيع: ميس محمد دسيس

Data:

التاريخ: 15/9/21

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	الموضوع
ت	الإهداء
ث	الشكر والتقدير
ج	الإقرار
ح	الفهرس
د	الملخص
1	المقدمة
3	الفصل الأول : ملامح الحياة العامة في عصر الطوائف
4	المبحث الأول : عوامل سقوط الدولة الأموية
8	المبحث الثاني : عصر الطوائف وأبرز ممالكه (422هـ - 484هـ)
14	المبحث الثالث : الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الطوائف
14	أولاً : الحياة السياسية
17	ثانياً : الحياة الاجتماعية
22	المبحث الرابع : الدولة العبّادية في إسبيلية
25	أولاً : دولة القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل (414 هـ _ 433 هـ)
26	ثانياً : دولة المعتضد بن عبّاد (433 هـ _ 461 هـ)
28	ثالثاً : دولة المعتمد بن عبّاد (461 هـ _ 484 هـ)
31	المبحث الخامس : الحركة الأدبية في عصر بني عبّاد
33	أولاً : علم التاريخ في الأندلس
37	ثانياً : الشعر في ظلّ بني عبّاد
42	الفصل الثاني : معالم صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين
43	المبحث الأول: في مضمون الغرض الشعري
43	أولاً : غرضي المديح والثناء
46	ثانياً : واقع الهجاء في الأندلس
48	المبحث الثاني : صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية
48	أولاً : صورة الملك الكريم الجواد
54	ثانياً : صورة الملك القوي الشجاع
62	ثالثاً : صورة الملك المؤيد من الله الزائد عن الدين
65	رابعاً : صورة الملك الوسيم

68	خامساً : صورة الملك الحليم ذي الرأي السديد
72	سادساً : صورة الملك العظيم ذي المكانة الرفيعة
72	1 _ في مجدهم ، وهيبتهم ، وعلو شأنهم
78	2 _ في نسبهم ورفي أصلهم
80	سابعاً : صورة الملك الشاعر ، والمتقف
84	المبحث الثالث : صورة ملوك بني عبّاد السلبية
84	أولاً : صورة الملك الطاغية
86	ثانياً : صورة الملك العايب
88	ثالثاً : المعتمد وابن عمّار
89	رابعاً : صور أخرى
93	المبحث الرابع : مواضع اتفاق واختلاف آراء الشعراء والمؤرخين في صورة ملوك بني عبّاد
99	الفصل الثالث : السمات الفنيّة
100	المبحث الأول : بناء القصيدة
100	أولاً : مقدمة القصيدة
106	ثانياً : المطلع
109	ثالثاً : حسن الانتهاء
112	المبحث الثاني : اللغة والأسلوب الشعري
112	أولاً : اللغة الشعرية
115	ثانياً : الأسلوب الشعري
116	1_ التناص
116	أ _ التناص الديني
119	ب- التناص التاريخي
121	2- التكرار
124	المبحث الثالث : البناء الفني
124	أولاً : الصورة الفنيّة
124	1 _ التشبيه
125	2 _ الاستعارة
126	3 _ الكناية
127	ثانياً: المحسنات البديعية
127	1 _ الطباق

128	2 _ المقابلة
130	المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية
130	أولاً : الموسيقى الداخلية
130	1 _ الجناس
131	2 _ لزوم ما لا يلزم
132	3 _ التصريح
133	ثانيًا: الموسيقى الخارجية
133	1 _ الوزن
134	2 _ القافية
136	الخاتمة
138	المصادر والمراجع
B	Abstract

صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين

إعداد

ميس محمد خميس إبراهيم خليلي

إشراف

أ . د . وائل أبو صالح

الملخص

تتناولُ هذه الدراسة صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء و المؤرخين ، إذ تضافرت جهود الشعراء ، والمؤرخين في رسمِ صورٍ متنوعةٍ للدولة العبّادية ، التي حكمت زُهاء سبعين عاماً في عصر الطوائف ، وهو من أكثرِ الحقبِ الأندلسيّةِ فتنَةً واضطراباً ، إذ كان لبني عبّاد حضورٌ بارزٌ في مؤلّفات التّاريخ والتّراجم ، كما كان لهم صورةٌ واضحة المعالم فيما ورد عن شعراءِ حقبتهم من مقطوعات وقصائدٍ شعريّةٍ ؛ وصفتهم ، ورصدت الأحداث والمجريات التي اتّسمَ بها واقع عصرهم .

فجاءتُ هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصولٍ وخاتمة :

تحدثتُ في الفصل الأول عن ملامح الحياة العامة في عصر الطوائف ، من حيث الحياة

السياسية و الاجتماعية و الأدبية ، و أهم الدول و الإمارات التي شكّلت روح ذلك العصر .

في حين عرضتُ في الفصل الثاني لصورة هؤلاء الملوك الإيجابية و السلبية ، وفق ما

جادت به قرائح الشعراء، وأقلام المؤرخين .

أمّا الفصل الثالث ، فقد خصصته للحديث عن أبرز السمات الفنيّة التي ميّزت بناء

قصائد شعراء البلاط العبّادي ، ولغتهم، وأسلوبهم الشعري .

وقد عرضتُ الخاتمة لأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

المقدمة :

الحمد لله مالك الملك ، يؤتية من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أمّا بعد:

فقد وقفت هذه الدراسة على صورة ملوك سادوا أجزاء من الأندلس في عصر الطوائف، واستقروا في إشبيلية، فكانت مركزهم في الانطلاق والسيطرة وبسط النفوذ ؛ فامتد سلطانهم واتسع فأصبحوا قوة عظمى لا يُستهان بها ، فتناقلت كتب التاريخ أخبارهم ورصدت صفاتهم، كما تداول الشعراء خصالهم ، ووقفوا على مناقبهم ومثالبهم ، والأحداث والمجريات التي مرت بها دولتهم فسوروا عزهم وملكهم ومجالس خمرهم ، وتغزلوا بقصورهم وعمرانهم ، وفاض شعرهم أسمى على زوال دولتهم واندثار ملكهم .
وقد انتظم عقد دراستي هذه في مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة.

حيث تناولت في الفصل الأول " ملامح الحياة العامة في عصر الطوائف " ، وقسمته إلى خمسة مباحث ، وتحدثت في المبحث الأول عن عوامل سقوط الدولة الأموية في الأندلس، ووقفت على الأسباب الكامنة وراء انهيارها، و عرضت في المبحث الثاني لأبرز إمارات عصر الطوائف فيما تحدثت في المبحث الثالث عن الحياة السياسية والاجتماعية لذلك العصر، مركزة على أهم سماتها ، وأبرز ملامحها ، ثم عرضت في المبحثين الرابع والخامس ، للدولة العبادية في إشبيلية وللحياة الأدبية التي ميّزت عهد هذه الدولة .

أمّا الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن " معالم صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين " ، وجاء هذا الفصل في مبحثين ، تناول أولهما : صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية، فيما وضّح المبحث الثاني معالم صورة ملوك بني عبّاد السلبية .

وأما الفصل الثالث ، فقد عرضت فيه " للسمات الفنية" التي ميّزت شعر البلاط العبادي، وقد قسمته إلى أربعة مباحث، وتحدثت في المبحث الأول عن بناء القصيدة، بمقدمتها،

ومطلعها، وخاتمتها، وتناولتُ في المبحث الثاني اللغة والأسلوب الشعري، وخصصتُ المبحث الثالث للحديث عن البناء الفني، فيما عرضتُ في المبحث الرابع للموسيقا الشعرية . وقد تضمنت الخاتمة أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .

وقد اعتمدتُ الدراسة على المنهج التكاملي، حيث استخدمتُ المنهج الوصفي التحليلي في دراسة الشعر، وعمدتُ إلى المنهج التاريخي في معرفة آراء المؤرخين ، ورصد أقوالهم بأولئك الملوك .

وتمثلت مشكلة هذا البحث في عدم وجود دراسات كافية عن ملوك بني عبّاد، فضلاً عن توزع أقوال الشعراء في بطون كتب التاريخ، لذا تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليطها الضوء على الأسرة العبّادية، استناداً إلى ما نظمه الشعراء، وما حاكته أقلام المؤرخين؛ إذ لا توجد دراسة علمية شاملة مستقلة تناولت صورتهم، أو وقفت على ما قيل فيهم من أشعار، أو ما روي عنهم من أخبار .

ومن أهم المصادر التي اعتمدتُ عليها في إخراج تلك الصورة، كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسّام، وكتاب " نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " للمقري، وبعض كتب التراجم كـ "الحلّة السيرة " لابن الأبار، إضافةً إلى دواوين بعض الشعراء، كديوان ابن زيدون، وابن حمديس، وابن اللبّانة .

كما أفدتُ من عددٍ من المراجع الحديثة، كان من أهمها: كتاب " قصيدة المديح في الأندلس " لأشرف محمود نجا، وكتاب " دولة الإسلام في الأندلس " لمحمد عبد الله عنان . فيما كانت رسالة الحركة الأدبية في إشبيلية " لحميدي خميسي، من أبرز الرسائل الجامعية التي عدتُ إليها، إضافةً إلى مجموعة أخرى من الكتب ، والرسائل ، والدوريات .

وخاتمة القول ، فلا يزال المرء عالماً ما طلب العلم ، ولا يمكن لهذه الدراسة أن تصل حدود الكمال ، فالكمال لله وحده .

والله ولي التوفيق

الفصل الأول

" ملامح الحياة العامة في عصر الطوائف "

المبحث الأول : عوامل سقوط الدولة الأموية .

المبحث الثاني : عصر الطوائف وأبرز ممالكه (422 هـ _ 484 هـ) .

المبحث الثالث : الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الطوائف .

المبحث الرابع : الدولة العبادية في إشبيلية (414 هـ _ 484 هـ) .

المبحث الخامس : الحركة الأدبية في عهد بني عبّاد .

الفصل الأول

" ملامح الحياة العامة في عصر الطوائف "

المبحث الأول: عوامل سقوط الدولة الأموية

شهد القرن الخامس الهجري تغييراً جذرياً في قوى الحكم، وتحولاً مصيرياً في المشهد الأندلسي الذي تجلت صورته بانهيار صرح الخلافة الأموية التي دامت قرناً عدة، فبعد سقوط الدولة الأموية في المشرق سنة 132هـ، عادت لتتجدد في الأندلس سنة 138هـ على يد (عبد الرحمن الداخل)

" صقر قريش " الذي استطاع توحيد الأندلس سياسياً واجتماعياً، وتأسيس حضارة عظيمة وزاهرة إلى أن دبّ الاستبداد والفساد في جسد الدولة ونظام الحكم، فجاء تفشي الفتنة في الأندلس وهي ما أطلق عليها " الفتنة البربرية " التي أطاحت باستقرار البلاد وأمنها، حاسماً الموقف باندثار عصر القوة الواحدة وتمزق البلاد إلى إمارات و دويلات مستقلة .

و كانت تلك الخاتمة نتاجاً حتمياً لمجموعة من العوامل ، التي هيأت الفرصة لقيام دول الطوائف، ففي عام 422هـ، سقطت الدولة الأموية بعد إقصاء آخر خلفائها (هشام المعتد بالله) عن الحكم، وإعلان الوزير (أبي الحزم بن جهور) انتهاء الخلافة الأموية في قرطبة " لعدم الصلوح في أهل بيتها، وسوء الجوار، و فناء الأموال . "1.

إلا أنّ المطلع على تاريخ دولة بني أمية يرى مدى الإنجازات التي حققتها هذه الحضارة العظيمة؛ إذ مرت بمراحل ذهبية بلغت فيها ذروة التميز، والازدهار، على الصعيد السياسي والاقتصادي والثقافي، فقد حفل عصر (عبد الرحمن الداخل) بنهضة أدبية وفكرية ، وتفوق سياسي وعسكري بلغ أوجه في عهد (عبد الرحمن الناصر) وابنه (الحكم المستنصر) . إذ

¹ ابن الخطيب ، لسان الدين: أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية) ، تح ، ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار المكتشفة ، بيروت ، 1956 م ، ص 147 .

كان عهدهما من أمتع عصور الدولة الأموية بالأندلس ، فيها زهت العلوم والأداب وتزودت الدولة بالأسلحة والعتاد والجيش العظيم المهاب ¹ .

وفي هذه الفترة من تاريخ الدولة الأموية منذ إمارة عبد الرحمن الداخل (138_173)هـ إلى إعلان الناصر نفسه خليفة على البلاد (300 _ 350)هـ، انتهاء بفترات تساقطها وضعفها مرت الأندلس بسلسلة من الأحداث السياسية التي أثرت في مسيرة هذه الدولة واستقرارها ، ولا سيّما بعد تولية الحكم المستنصر ولده هشام المؤيد العهد وهو في سن مبكرة، وأخذ المبايعة له عام 366هـ ليظهر مدى اهتمام أمراء هذه الدولة " بقانون ولاية العهد " الذي لم ينجحوا في إيجاد نظام ثابت له ، واكتفوا باعتماد " الكفاءة والتأييد " شرطين أساسيين له ، مما جرّ على الوضع السياسي في الأندلس ، والعلاقات القائمة بين أبناء البيت الأموي أثراً سلبية ²، كان لها دورٌ مهمٌ في تداعي الدولة الأموية وضعفها بإسناد الحكم لمن لا يقوى على حمايتها وردع المتآمرين عليها .

ولهذا لم يكن انهيار هذه الحضارة العظيمة واقعاً طارئاً أو نتاج لحظة راهنة ، بل كان حدثاً تراكمياً انبثق عن عدة محاور وأسباب ذات بعد سياسي يتعلق بالنّواة الأساسية لنظام الحكم وآخر يتصل بالتركيب السكاني والجغرافي للبلاد³، وأسباب أخرى ذات بعد اجتماعي واقتصادي .

وقد بدأت معالم انهيار هذه الدولة تتضح أكثر فأكثر عندما قبض المنصور بن أبي عامر بكلتا يديه على السلطة لاغياً الدور التقليدي للخلافة بوصفها مؤسسة دينية و زمنية ⁴ .

¹ ينظر : عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الطوائف، ط 4 ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1997م . ص 688 .

² ينظر : الشرقي، منيرة بنت عبد الرحمن: ولاية العهد في إمارة بني أمية في الأندلس و أثرها في تثبيت البيت الأموي، مجلة دارة ، ع 2، ربيع الآخر 1426هـ ، السنة 31 ، ص 85 .

³ ينظر: أبو زيدون، وديع : تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2005م ، ص 322 .

⁴ ينظر: بيضون، إبراهيم: الدولة العربية في إسبانيا، من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت 1980م ، ص 377 .

فقد قاد الحاجب البلاد إلى سحق الهاوية ، وبدأت وإياه بذور الفتنة والاضطراب والرفض تعلن عن نفسها، وتهيئ ذاتها لاتخاذ مواقف صارمة وجريئة ، لا سيما أن الشعب الأندلسي تنوعت مشاربه وتعددت أجناسه وألوانه ، الأمر الذي ساهم في انتشار قيم العصبية والعنصرية ، وتفضيل جنس على آخر ، فانعدمت بذلك أسباب الوحدة والتعاقد والتآلف ¹ .

ومن هذا تفضيل المنصور بن أبي عامر عنصري البربر والصقالبة، وإقصاء العنصر العربي، إذ " قَدَّم رجال البرابرة من قبيلة زناتة ، وأخر رجال العرب و أسقطهم عن مراتبهم ، فتمَّ له ما أراد من الاستقلال بالملك و الاستبداد بالأمر " ² .

فانشغلت الأنظمة الحاكمة بفض النزاعات والصراعات ، وإخماد الثورات مما أدى إلى إضعاف الجبهة الداخلية ، وزعزعة الجبهة الخارجية أمام العدو الإسباني ³ .

إن هذا الخلل السياسي والاجتماعي في منظومة الخلافة الأموية كان أصل وأساس تفسخ كيان الدولة الأموية ، وتشنت أركانها ، وانحلال أسسها ومبادئها، إذ ساهم تفشي الفساد، وانتشار المجون والخلاعة، والابتعاد عن نهج الله والأخلاق القويمة، وضعف المجتمع وانقسامه على ذاته وتمزقه، وتشرذمه إلى أجناس مختلفة، وأحزاب متنافرة، وطبقات اجتماعية تفصل بينها فجوة هائلة، في وصول صرح الخلافة إلى مصيره الحتمي .

فعاثت مرحلة لفظ الأنفاس الأخيرة في ظل صراعات وفتن و حروب أهليّة ، طوّحت بالبلاد وأهلكت العباد ، و أوتقت الأزمة عليهم .

وقد رثى هذه الدولة عدد من الشعراء، كابن شهيد الذي وقف على أطلال قرطبة باكياً متحسراً متجعجاً؛ لما آلت إليه بعد زوال دولة بني أمية ، بقوله :

{الكامل}

ما في الطلول من الأحبّة مُخْبِرُ فَمَنْ الَّذِي عَنْ حَالِهَا نَسْتَخْبِرُ؟
جَارَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ فَتَفَرَّقُوا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَبَادَ الْأَكْثَرُ

¹ ينظر: أبو زيدون، وديع: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة ، ص 323 _ 324 .

² ابن خلدون، عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ط 2، دار الفكر، بيروت ، 1988م ، ج 4 ، ص 189 .

³ ينظر: العمائرة، محمد نايف : صراع الأمويين على الحكم في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى سقوط

الخلافة، مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات، م 19، ع 3، 2004م ، ص 140 .

فلمثل قُرْطُبَةَ يَقلُّ بَكاءَ مَنْ يبكي بعينِ دمعِها متفجِّراً
داراً، أقالَ اللهُ عَثرةَ أَهلِها! فتبرِّروا وتغرَّبوا وتمصروا
في كلِّ ناحيةٍ فَرِيقٌ مِنْهُمُ متفطِّراً لِفراقِها متحيِّراً¹

ويقول أيضاً يصفُ حالَ أهلِها بحزنٍ بالغٍ ، وألمٍ عميقٍ مستذكراً أيامَ بني أميةَ، وسنواتِ عزِّهم
وبهاءِ دولتهم:

{ الكامل }

يا طيِّبَهم بقُصُورِها وخُدُورِها وبُدُورِها بقُصُورِها تتخَدَّرُ
والقصرُ قصرُ بني أميةَ وافرٌ من كلِّ أمرٍ والخلافةُ أوفرُ
يا جنةَ عَصَفَتْ بِها وبِأهلِها ريحُ النَّوى فَتَدَمَّرَتْ وتدمِّروا!
أسْفى على دارِ عهدتُ ربُّوعِها وظباؤها بِفنائِها تتبخَتَرُ
أيامَ كانَ الأمرُ فيها واحداً لِأميرِها و أميرٍ مَنْ يتأَمَّرُ²

وفي ذهابِ الدولةِ الأمويةِ أيضاً يقول ابن حزم: " بهدمها انهدمت الأندلس إلى الآن
وذهب بهاء الدنيا بذهابها " ³، موضحاً أهمية هذه الدولة وكاشفاً الستار عن دورها الفعلي في
توحيد الأندلس وتماسكها، فلو كتب لهذه الدولة الاستمرار والبقاء فلربما كانت الأندلس إلى الآن
عربية إسلامية ، ولما خرجت عن حِمى المسلمين .

¹ ابن شهيد : ديوان ابن شهيد ورسائله، تج ، محي الدين ديب ، ط 1 ، المكتبة العصرية، بيروت ، 1997م ، ص 76
_ 77.

² المصدر السابق ، ص 77 .

³ المراكشي ، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تج ، ج . س كولان و ليفي بروفنسال ، ط 2،
دار الثقافة ، بيروت ، 1983م ، ج 2 ، ص 39 .

المبحث الثاني: عصر الطوائف و أبرز ممالكه (422 هـ _ 484 هـ) .

بعد انهيار الدولة الأموية، سعى كل أمير إلى تكوين دولته الخاصة، وإمارته المستقلة، فأضحت بذلك الأندلس دولاً متفرقة يتنازعها الساسة على اختلاف أجناسهم من عرب وبربر وصقالبة ، وفيما يأتي أهمّ هذه الدول والممالك التي قامت على أنقاض دولة بني أمية:

مملكة قرطبة : حظيت قرطبة بدورٍ متميزٍ في عصر بني أمية، فكانت " قاعدة الأندلس ومستقر خلافة الأمويين " ¹، فهي مدينة عظيمة ذات رقعة واسعة تقع في وسط الأندلس على ضفة نهر الوادي الكبير ، كانت حاضرة الخلافة الأموية وقاعدة ملكهم ² ، ولدى سقوط الخلافة وتقوّض أركانها وقيام عصر الطوائف ، استأثر (أبو الحزم جهور) بهذه الإمارة، وأعلن انتهاء الخلافة الأموية سنة 422 هـ، فنالت أسباب الأمن والسلام وازدهرت وعمّها الرخاء واتّبع فيها سياسة ديمقراطية عمادها الشورى والإجماع³، إلى أن شبّ التنافس بين أبناء أسرة بني جهور بعد وفاة أبي الحزم، فغدّت ساحة صراع، ومطمعاً تتجه إليه أنظار الساسة والأمراء، فاستولى عليها (المعتمد) سنة 462 هـ، وندب ولده (سراج الدولة) لحكمها وتديير أمرها ، وظلّت ضمن حدود ملكه ، حتى سيطرَ عليها المرابطون سنة 488 هـ، فدخلت عهداً جديداً وحقبةً جديدة .

مملكة إشبيلية:

بسّطت الأسرة العبّادية نفوذها على هذه الإمارة سنة 414 هـ، وكانت مركزهم للانطلاق والسيطرة على إمارات وممالك اخرى، فامتد ملكهم وشمل أراضي وبقاعاً مختلفة . وكانت عدتهم في ذلك القوة والدهاء والحكمة العسكرية، وسيتم الحديث عن هذه الأسرة ورجالها باستفاضة أكبر في الصفحات الآتية .

¹ الحميري ، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار ، تح ، إحسان عباس، ط 2، مكتبة لبنان ، 1984م ، ص 456 .

² ينظر، الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، تح ، فريد عبد العزيز الجندي ، ط 4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م ، ج 4 ، ص 368 _ 369 و القزويني، زكريا بن محمد : آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ص 552

و الحميري، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 456.

³ ينظر: عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الطوائف . ص 22 .

مملكة سرقسطة:

استحوذ بنو هود على سرقسطة سنة 400 هـ " وهي مدينة كبيرة من أطيب بلاد الأندلس بقعة وأحسنها بنياناً، وأكثرها ثماراً، وأغزرها مياهاً " ¹، و أول من حكمها من هذه الأسرة سليمان بن هود (المستعين) وقد خاضت المملكة أيام حكمه صراعاً خارجياً مع صاحب طليطلة، وبعد وفاته غدت حلبةً نزاع داخلي بين الإخوة المتنافسين على الحكم ، إلى أن استأثر (أحمد المقتدر) بالحكم ، وقام بحروبٍ عدّة بغية التوسع والسيطرة مستعيناً في ذلك بملوك النصارى كغيره من ملوك الطوائف ممن استعانوا بالعدو على أبناء جلدتهم .

مملكة غرناطة:

تغلب البربر سنة 403 هـ على غرناطة " أعظم مدن الأندلس و أحصنها " ² ، وتعاقب بنو زيري على الحكم فيها، وكان أعظم أمراء هذه الدولة بوجه خاص وأمراء البربر بوجه عام (باديس بن حبوس) الذي عرف بالقوة والدهاء، فكان " رئيساً يبساً طاغية جباراً شجاعاً داهية حازماً جلدًا شديد الأمر شديد الرأي " ³.

ومن الأحداث المهمة التي وقعت في فترة حكمه محاولة وزيره اليهودي (يوسف بن النغريلية) الإطاحة به بالتعاون مع (ابن صمادح) صاحب المريّة، إلا أنّ محاولته باءت بالفشل فكان ذلك سبب مهلكه ، خلف باديس بالحكم حفيده (عبد الله بن بلقين) وقد ظلّ أمير غرناطة وحاكمها إلى أن سيطر عليها المرابطون سنة 484 هـ .

¹ القزويني ، زكريا بن محمد : آثار البلاد و أخبار العباد ، ص 534 .

² الحموي ، ياقوت : معجم البلدان . ج 4 . ص 221 .

³ ابن الخطيب ، لسان الدين : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح ، محمد عبد الله عنان ، ط 2، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،

1973م ، م 1 ، ص 435 .

مملكة طليطلة :

مدينة كبيرة وقديمة ذات موقع استراتيجي متميز، غنية بمعادنها وثرواتها وذخائرها، كانت قاعدة القوط ، ودار ملكهم قبل الفتح الإسلامي¹ ، أما في عصر الطوائف ، فقد توارثت أسرة إسماعيل بن ذي النون التي تنتمي إلى أصل بربري هذه الإمارة سنة 427 هـ، واتسم الحكم فيها_ جرياً على حال سائر إمارات الطوائف_ بكثرة الحروب والاستعانة بالنصارى الى أن وقعت فريسة (ألفونسو السادس) سنة 478 هـ، بعد أن استعان به (القادر) حفيد إسماعيل بن ذي النون؛ لتسهيل رجوعه إلى طليطلة بعد أن استولى عليها(ابن الأفطس) وبذلك خضعت طليطلة لنفوذ الدولة المسيحية بعد أن فرط بها أبناؤها . فخرجت من قبضة الإسلام وارتدت إلى النصرانية وغدا قصرها منزلاً للبلاط القشتالي بعد أن كان منزلاً للولاة المسلمين² .

مملكة بطليوس:

سادَ بنو الأفطس هذه المملكة سنة 413 هـ، و أول حكام هذه الأسرة (عبد الله بن الأفطس) الذي شغل بحروبه مع بني عبّاد بين كر وفر، تكون الغلبة فيها تارة لابن عبّاد وتارة أخرى له ، ولم ينقضُ ابنه (المظفر) هذا النهج إذ سار على خطى والده في الإغارة والبغي وكثرة الحروب مع جيرانه ، وقد تلاه في الحكم ابنه (المتوكل) بعد أن انقادت السلطة إليه على أثر وفاة أخيه (المنصور بن الأفطس) وكان المتوكل ملكاً " عالي القدر مشهور الفضل ... من أهل الرأي والحزم والبلاغة وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم"³ ، فنعمت بطليوس بقسط من الهدوء والاستقرار ، حتى عاد خطر ملوك النصارى يهدد أمنها ويعكر صفوها .

¹ ينظر: الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 45 _ 46 و الحميري، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار ، ص 393 _ 394 و الأندلسي، ابن سعيد : رايات المبرزين و غايات المميزين ، تح ، عبد المتعال القاضي ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1973م . ص 81 .

² ينظر: عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف . ص 115 .

³ ابن الخطيب، لسان الدين : أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية . ص 185 .

مملكة بنسنية:

تعاقب على هذه المملكة حكام كثر، فاستقر (مبارك) و(مظفر) الصقليان في حكمها منذ بداية الفتنة البربرية حتى سنة 410 هـ، ثم انتقل حكمها إلى الأسرة العامرية سنة 457 هـ، ثم حكمها (المأمون بن ذي النون) ومن بعده حفيده (القادر) إلى أن ثارت البلاد عليه بقيادة القاضي (جعفر بن الجحاف) وبقي هذا القاضي يدبر أمور بنسنية ، التي عمها الاضطراب والفوضى مما جعلها مطعماً للقائد (لذريق) المعروف (بالسيد القمبيطور) فاستولى عليها، وظلَّ يحكمها حتى وفاته سنة 492 هـ¹ .

مملكة دانية:

كانت كغيرها من المدن الشرقية من نصيب الفتيان العامريين إذ تغلب (مجاهد العامري) على مدينة دانية من أوائل عهد الفتنة²، وعرف بكونه " ذا نباهة ورياسة زاد على نظرائه من ملوك الطوائف بالأندلس البديعة ؛ منها العلم، والمعرفة، والأدب، وكان مع ذلك من أهل الشجاعة والتدبير والسياسة "³

ولعل أهم إنجاز حاول مجاهد العامري تحقيقه هو الاستيلاء على جزيرة سردينية التي خاض فيها معارك ضخمة ودامية ففتحها سنة 446 هـ، قتل فيها خلقاً كثر وسبى مثلهم⁴، وإن لم يُكتب لهذا العمل النجاح الكامل والاستمرارية ، إلا أنَّ هذه الحملة البحرية، التي سيرها مجاهد العامري أعلنت عن قائدٍ عسكريٍ بارعٍ ذي طموح وسعة أفق .

ورث ملك مجاهد العامري، علي الملقب (إقبال الدولة) إلا أنه في سنة 468 هـ، هاجمه جاره (المقتدر بن هود) صاحب سرقسطة ، واستولى على دانية، أما " جزر البليار "⁵، التي كانت تابعة أيضاً لمجاهد العامري، فقد استقل بها واليها أغلب الملقب (بالمرتضى) ومن

¹ ينظر: الجبوسي ، سلمى الخضراء : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1998 م . ج 1 ، ص 108 .

² ينظر: عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الطوائف ، ص 188 .

³ المراكشي، ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس ، تح ، ج . س . كولان، ليفي بروفنسال، ج 3 ، ص 155.

⁴ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، دار صادر و دار بيروت ، بيروت ، 1966م ، ج 9 ، ص 290 .

⁵ جزر البليار: هي مجموعة كبيرة من الجزر تقع في غربي البحر الأبيض المتوسط في مواجهة السواحل الشرقية أهم هذه الجزائر و أكبرها في الأندلس ميورقة، ومنورقة، وجزيرة يابسة، وجزيرة فرمنتيرة، وجزيرة قبريرة، ورغم تماثل هذه الجزر الرئيسية في كثير من الصفات، إلا أن لكل جزيرة طابعها و مميزاتها، ينظر، سيسالم، عصام: جزر الأندلس

المنسية، ط 1، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1984م ، ص 15 _ 19 .

بعده ناصر الدولة (مبشر بن سليمان) حتى خضعت تحت حكم المرابطين سنة 509 هـ ، بعد تعرضها لهجمات الغزاة المسيحيين ¹ .

هذا عرضٌ موجز لبعض الممالك التي سَطَّرت تاريخ الحضارة الأندلسية في عصر الطوائف ، وقد كان لقوتها و ضعفها أثرٌ في ثبات الدولة الأندلسية أو زعزعة أركانها، إلى جانب بعض الإمارات الأخرى التي تمثلت في المرية ومرسية وطرطوشة، وقد حكم هذه الإمارات الصقالبة العامريون، ومملكة سهلة التي حكمها بنو رزين، ومن الإمارات الأخرى التي وقعت تحت حكم البرابرة مالقة ورندة في الجنوب الشرقي .

ومن الملاحظ أنّ هؤلاء الملوك والأمراء قد انضوا تحت فئات اجتماعية مختلفة:

أولاً: العرب، ويمثلهم بنو عبّاد في إشبيلية، وبنو جهور موالي بني أمية في قرطبة .

ثانياً: الصقالبة، كالأُسرة العامرية التي استوطنت في شرق الأندلس، فحكم مبارك ومظفر العامريان بلنسية، و حكم مجاهد العامري دانية، و حكم خيران وزهير المرية .

ثالثاً: البربر، وأبرزهم بنو حمّود، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو زيري في غرناطة .

ولخصّ المستشرق الإسباني (غرسيا غومس) الحال الذي انتهت إليه الأندلس بعد مغيب شمس الدولة الأموية ووثوب أمراء الطوائف على المدن الأندلسية بقوله: " كانت قرطبة الأموية ملتقى أجناس الشرق والغرب وموضع امتزاج بعضها ببعض ... وعندما انهار صرح خلافتها ؛ انتثر عقد بلادها ... وقام على أنقاضها رؤساء طوائف العرب الصغار وأمراء الجماعات البربرية وفتيان صقالبة القصور ² .

وأضاف يصف الظروف التي أحاطت بملوك الطوائف وكيف تضافرت جميعها للإطاحة بهم "استيقظت إسبانيا النصرانية ومدّت يدها إلى أوروبا ، كان ذلك عصر (السيد القمبيطور) ثم إن أهل المغرب ... نظّموا أمورهم في صحرائهم، وأقاموا لأنفسهم دولة وبين نارٍ النصراني في الشمال، والبربر في الجنوب، وقف ملوك الطوائف وقد وهن أمرهم ، وأضعفهم الترف والبذخ، لا يكاد سلطان أحد منهم يتخطى حدود بلده، فكانت دويلاتهم أشبه بجمهورية إيطالية

¹ ينظر: الجيوسي، سلمى الخضراء : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج 1، ص 108_109 .

² بالنتينا، أنجل جنثالث : تاريخ الفكر الأندلسي ، نقله عن الإسبانية ، حسين مؤنس، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة

في ثياب شرقية، وسادت ذلك العصر كله روح من البذخ المسرف، والإجرام السافر، من المطامع والنزوات، ومن الخناجر والسموم " ¹

أصاب (غرسيا غومس) في وصف ملوك الطوائف الذين تنازعوا أمرهم بينهم، وغلبت عليهم روح الشقاق والنفاق فعجّل ذلك في زوالهم واندثار عهدهم، ولولا دولتنا المرابطين (483 هـ _ 541 هـ) والموحدين (539 هـ _ 643 هـ) لغدت الأندلس تحت حكم النصارى منذ زمن .

¹ بالنيثيا، أنجل جنثالث : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 77 _ 78 .

المبحث الثالث: الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الطوائف .

أولاً : الحياة السياسية :

نهض عصر الطوائف على أساس قلق غير متوازن دعامته علاقات مضطربة ، ومشحونة بالبغض ، والبغي ، واللّهت وراء السلطة، فأضرمت نار الفرقة والفتنة، وهام المجتمع الأندلسي في سراديب الصراعات الدموية . إن هذه الفجوة التي وطدت وجودها في ذلك العصر أفرزت تمزقاً في نسيج المجتمع والدولة لا يمكن رتقه ، فغداً عصراً متوتراً ومعقداً وساحةً خصبةً للحيل والمؤامرات.

وقد غطت هذه الغمامة السوداء أرض الأندلس ، وحملت معها كثيراً من المؤامرات والحروب التي أتت على قوة المسلمين، وأثقلت كاهلهم، ومنتهم خسائر فادحة ؛ كانت ثمناً لحقدهم وضلالهم إذ كان ملوك الطوائف يجتهدون في حرب إخوانهم المسلمين ، و يمعنون في قتلهم، لقاء التمكن والسيطرة وحيازة الأراضي، التي آلت في نهاية الأمر إلى العدو الإسباني ، فخسروا بذلك الأندلس التي لم يقووا على حمايتها حتى من أنفسهم .

ومن هذه الصراعات التي قامت بين هؤلاء الملوك: صراع بني عبّاد في إشبيلية مع بني باديس في غرناطة، وصراع بني هود في سرقسطة مع بني ذي النون في طليطة .

وضعت هذه الحالة السياسية المتردية عصر الطوائف بين هاويتين :

الأولى: الصراع الداخلي ، والحروب المتصلة بين هذه الدول ، التي أدت إلى تحولات مستمرة في مسارها التاريخي دولة تقوم وأخرى تتساقط ، وحدود في تغير متصل¹ ، والثانية: الصراع الخارجي مع الدولة المسيحية ، و اقتناصها من الأحداث فرصة لبناء نفسها، وتوحيد قواها، وفرض وجودها على المنطقة .

وقد نشأت هذه الدولة المسيحية في شمال الأندلس، وعملت على توحيد قواها بمساندة فرنسا والبابوية، وامتدت بادية بدء ، في الجبال ولم تستطع الانتشار أكثر ؛ خوفاً من قوة المسلمين² ، إلا أنها ما لبثت أن استغلت ضعف المسلمين بعد ولاية عبد الرحمن الناصر،

¹ ينظر: الجبوسي ، سلمى الخضراء : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 1، ص 99 .

² ينظر: العبّادي ، أحمد المختار: في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر، 2004 م ، ص 281.

والمنصور بن أبي عامر فامتدت في البسائط والسهول¹، وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الدولة تقوى، ويشتد عودها وتتسع حدودها، كانت الأندلس تعاني تمزقاً سياسياً واجتماعياً، تحت حكم أمراء الطوائف، الذين شغلتهم حروبهم ونزاعاتهم عن التصدي لهذا المد الإسباني، الذي يندر بالخطر والزوال.

ومما زاد الأمر سوءاً أن إسبانيا في ذلك الوقت كان يحكمها رجل واسع الطموح والأطماع وهو الملك (ألفونسو السادس) الذي نجح في توحيد قشتالة وليون، وقد توجَّ مجده باحتلال طليطلة التي تقع في قلب الأندلس²، فكانت ضربةً موجعةً أصابت المسلمين، وثبتت قدم (ألفونسو) في الأندلس، فاقتصر دور دولة المرابطين (483 هـ _ 541 هـ) فيما بعد على تقليص الدولة المسيحية وحسر نفوذها وإعطاء الأندلس رمقاً إضافياً، دون القضاء على هذه الدولة، وإبادتها إبادة كاملة.

إن هذا الانقسام والتشردم الذي أصاب روح العصر وانعدمت وإياه الرؤية الواضحة والتفكير العميق فاقم الأزمة، واستباح مقدرات هذه الدول وحدودها، وقدّم للعدو المتربص ثغرات ونقاط للولوج من خلالها إلى كيان هذه الدول، وإرهاقهم بالأتوات والجزى في محاولة لشل أطرافهم واستنزافهم، وتقزيم إمكاناتهم.

إذ انفردت حقبة ملوك الطوائف بدبلوماسية التحالف بين المسلمين والإسبان، وهي تحالفات موجهة ضد الطرف الثالث، العدو الذي ينتمي للدين والدم نفسه، وهذا التكتيك المتبع كان يسير لصالح غير المسلمين³، فكانت نهايتهم أبرز دليل على مغبة التفرق والانقسام.

ويصف ابن حزم في رسائله حال أمراء الطوائف، وما أفرزه تناحرهم من ويلات وفتن، فيقول " اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم وبعماره قصور يتركونها عمّا قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم، ودار قرارهم، وجمع أموال ربّما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم، وعوناً لأعدائهم عليهم ... ثم هم متردون

¹ ينظر: عزّام، عبد الوهاب : المعتمد بن عباد، الملك الجواد والشاعر المرزأ، دار المعارف، مصر، 1959م، ص33.

² ينظر: العبادي، أحمد مختار: في تاريخ المغرب والأندلس، ص 281.

³ ينظر: الفايز، فارس ظاهر : الجوانب الإيجابية والسلبية في تاريخ المسلمين، المجلة الثقافية ع 32، 1994 م، ص

بما يؤول إليه إهمال هذا الحال من فساد سياستهم والقدح في رياستهم، فلأسباب أسباب و للمداخل إلى البلاء أبواب " 1

ويضيف: " هي فتنةٌ سوء أهلك الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب، وعمدة ذلك أن كل مديرة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها، محارب الله تعالى ورسوله، وساع في الأرض بفساد للذي ترونه عياناً من شنه الغارات على أموال المسلمين من الرعية ... وإاحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي ينقضون على أهلها، ضاربون المكوس والجزية على رقاب الناس المسلمين ... غرضهم فيه استدام نفاذ أمرهم ونهيم" 2.

ترك هذا التحلل الأخلاقي والتهاون الديني و الميل إلى الحياة المترفة، وانتشار الفساد والرشوة وتفشي الظلم، واضطراب الأمور و الأحوال آثاراً عميقة أدت إلى فقدان الشعب ثقته بحكامه لا سيما بعد أن توالى الهزائم، وأخذوا بالتنازل عن حصونهم ومدنهم للأعداء ، مما أدى إلى إضعاف نظام الدولة، وعدم القدرة على الصمود أمام العدو الإسباني .

ويُرجع الطرطوشي في كتابه " سراج الملوك " سبب فساد الدول وانهارها إلى عدة أمور ولعل ما ينطبق منها على حال أمراء الطوائف كثير ، إذ يقول " إذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع وفي زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق أهل الشر ... ففي صلاحه صلاح العباد والبلاد ، وفي فساده فساد العباد والبلاد " 3

و كما لا يستقيم إهان للعالم كذلك لا يستقيم سلطانان في بلد واحد ، فالعالم بأسره في سلطان الله تعالى ، كالبلد في سلطان الأرض يحكمها، و يديرها، و يدبر شؤونها 4 .

ولقد أصاب الطرطوشي بقوله هذا، لبّ مأساة الأندلس وأصلها ، التي تمزقت كقطعة لحم بين ذئاب مفترسة الواحد منهم عينه على نصيبه ونصيب أخيه، فأصبحت أشبه ما يكون بساحة

¹ ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي ، تح ، إحسان عباس ، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الأردن ، 2007م ، م 2 ، ص 41 .

² المصدر السابق ، م 2، ص 173 .

³ الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري : سراج الملوك ، تح ، محمد أبو بكر، تقديم ، شوقي ضيف، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، 1994م ، ص 200 .

⁴ الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري : سراج الملوك ، ص 200 .

نزاع جميع أبطالها متأهب للصراع والانقضاء، ولم يختلف هذا النهج المتبع في سياستهم عن سلوكهم مع شعوبهم ورعيّتهم ، بل كانت القسوة والظلم أبرز سماتهم ، فكثرت الناقمون والساخطون عليهم مما عجل في نهايتهم .

و من الجدير بالذكر أنّ هذا الانقسام و الوهن كان من أبرز سمات القرن الخامس الهجري إذ لم يكن الحال في المشرق العربي أفضل مما هو عليه في الأندلس، حيث كان الوضع الداخلي مزعزعا؛ لضعف نفوذ الخلافة العباسية ، وإقصاء الخليفة عن مهام حكمه، محتفظاً بالسلطة الروحية كذكر اسمه في الخطب ، وتبجيله واحترامه في المناسبات الدينية، فكانت بغداد عاصمة الدولة العباسية تئن تحت ضربات النفوذ البويهي (334 هـ _ 447 هـ) والدولة السلجوقية (447 هـ _ 656 هـ) إضافة إلى نشاط الثورات والحركات الدينية والسياسية المناهضة للخلافة والوضع الراهن .

ثانياً : الحياة الاجتماعية :

تمازج في بوتقة المجتمع الأندلسي أجناس مختلفة من العرب، والبربر، والصقالبة، والإسبان، وكان كل منهم يمارس عقائده الدينية بحرية وأمان، فمن الإسبان من ظل معتقاً ديانته المسيحية، ومنهم من دان بالعقيدة الإسلامية الوافدة، كما نتج عن تزاوج الإسبانيات بالعرب فئة جديدة ، وهي " المولدون "، أضف إلى ذلك عنصراً جديداً استكثر منه المنصور بن أبي عامر وهو " الصقالبة" الذين كان يُؤتى بهم من بلاد الفرنجة للخدمة في قصور الأمراء؛ ولتهيئة بعضهم لتولي المناصب المهمة في الدولة .¹

وقد تميّز القرن الخامس الهجري بنزاع أصحاب النفوذ من تلك الأجناس، وصدامها الدائب حول السلطة والوصول إلى المراكز العليا، الأمر الذي جعل المجتمع الأندلسي عرضة لصراع طبقي مثله سيطرة الأمراء والحكام، وتقلد حاشيتهم من الوزراء والقضاة والفقهاء المناصب الإدارية في الدولة، وتمتعهم إلى جانب ذلك بثراء فاحش، وترف مكنهم من التفنن

¹ ينظر: التوفيق، عمر إبراهيم : صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، سياسياً واجتماعياً وثقافياً، ط1، دار غيداء للنشر، عمان، 2012 م . ص 93 .

بالمظاهر العمرانية كالقصور، والبرك، والبساتين، والحدائق التي عَجَّتْ بألوان الزخرفة، والزينة، والأناقة على نحوٍ جعل منها تحفاً فنيةً ، وميداناً لتنافس الشعراء والأدباء ؛ لوصف حليتها وجمالها، فهذا ابن زيدون يتغنى بقصور بني عبّاد كالزاهي والثريا والمبارك فيقول:

{ الكامل }

وَتَمَثَّلِ الْقَصْرَ الْمُبَارِكَ " وَجَنَّةً قَدْ وَسَّطَتْ فِيهَا " الثُّرَيَّا " خَالَا
قَصْرٌ يُقِرُّ الْعَيْنَ مِنْهُ مَصْنَعٌ بِهِجُ الْجَوَانِبِ لَوْ مَشَى لِاخْتَالَا
لَا زِلْتَ تَفْتَرِشُ السَّرُورَ حَدَانِقًا فِيهِ ، وَتَلْتَحِفُ النَّعِيمَ ظِلَالَا

ولم يقتصر الترف على تلك الطبقة، بل انسحب إلى طبقة التجار وأصحاب الصناعات والعقارات والمزارع، التي عُرِفَتْ بتقربها وتوددها إلى الطبقة الحاكمة؛ مما ساعدها على التمتع بامتيازات تلك الطبقة من ترف وبذخ وغنى وسيطرة، في حين ممثّل الموظفون والجنود وصغار الأدباء والعلماء، والفلاحون، والعاملون في الحرف والصناعات، والعبيد والجواري، والفقراء والعاطلون عن العمل، الطبقة العامة المنسحقة تحت وطأة الفقر، والحرمان، وجبروت السلطة وأعدائها، ونفوذ أصحاب العمل . فكانوا لُقمةً سائغةً للمؤثرات الداخلية والخارجية والظروف الطبيعية والاقتصادية²، من جذب وقحل وفقر، وكثرة ضرائب وقلة أجور .

وقام الأندلسيون بدورٍ مهمٍ في مجالي الزراعة و الصناعة³، فبرعوا في زراعة الأزهار، وأنواع من الفواكة كالتفاح، والزيتون، والتوت، والمشمش، والتين، والرمان، والموز، ومن النباتات كالقطن والفل، والحمص، والأرز، والعصفر، والحبوب، والبهارات، والتوابل، كما وجدت الصناعات سبيلها للنمو والإزدهار، كالصناعات النسيجية، والغذائية، والتعدينية، والعسكرية.

1 ابن زيدون ، ديوان ابن زيدون ورسائله، تح ، علي عبد العظيم، تقديم ، محمد إحسان النص ، ط3، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ، للإبداع الشعري، الكويت، 2004م . ص 558 .

² ينظر: التوفيق ، عمر إبراهيم : صورة المجتمع ، ص 109 _ 111 .

³ ينظر : حاملة ، محمد عبده : الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، عمان، 2000م ص 1029 _ 1046 .

من جانبٍ آخر فقد شاع في المجتمع الأندلسي أبان عصر الطوائف مجالس اللهو والغناء والطرب، وأقبل السادة الأندلسيون على اقتناء الجواري والقيان، وإقامة الاحتفالات التي اتّسمت بكل مظاهر المجون والترف¹، وانتشرت الخمر لتصبح ظاهرة اجتماعية عمّت طوائف ذلك المجتمع

وتميزت مجالسها باللهو، والقصف، والغناء، ورقص الجواري على إيقاع عزف موسيقي يسلب الألباب؛ مما ساهم في تفشي الفساد والخلاعة بين أفراد المجتمع، وانسياقهم وراء ملذاتهم الدنيوية وإغفالهم أمور الدين والسياسة، وتغاضيهم عن العدو الذي يتحّين الفرصة للانقضاض عليهم وسلبهم ملكهم.

وعلى النقيض من هذه الحالة الاجتماعية المتردية، التي قادت المجتمع الأندلسي إلى درجات من الانحطاط والانحلال الأخلاقي والديني ظهرت موجات من الزُّهاد والوُعَاظ الذين حاولوا الارتقاء بأرواحهم وسلوكهم، بالتزامهم مكارم الأخلاق، ودعوة الناس إلى الصلاح ونبذ الفجور وسبله وطرائقه؛ فأعرضوا عن مفاتن الحياة الدنيوية وزينتها ولجؤوا إلى التقرب إلى الله بالوصول إلى منازل العباد والزهاد والمتصوفين.

وقد برزت المرأة في المجتمع الأندلسي بأدوار عديدة تقلدتها تبعاً للفئات الاجتماعية التي انتمت إليها ، فقد تكوّن المجتمع الأندلسي من مزيج نسائي ازداد تعقده بازدياد الوافدين على الإسلام من الإسبانيين، وسواهم من الجنسيات المختلفة التي عجم بها ذلك المجتمع الحضاري المنفتح²، وكان لحضور المرأة في المجتمع أهمية لا تقل عن أهمية الرجل، فعملن في مهن مختلفة ساهم في ذلك أنّ " المرأة الأندلسية قد نالت حظاً وافراً من التعليم، وقد نبغت كثيرات منهن في العلوم والفنون و الآداب، وساجلن الرجال في ميادين الشعر و العلم و الفن " ³

¹ ينظر: خالص، صلاح : إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، 1981م ، ص 136 .

² ينظر: الدغلي، محمد سعيد : الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي و في الأدب الأندلسي، ط 1، 1984م ، ص 43 .

³ شلبي، سعد إسماعيل:البينة الأندلسية و أثرها في الشعر، عصر الطوائف ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة 1987م ، ص 58 .

فلم تكن الجوارى أقل منزلة من الحرائر ، بل كان لهنّ أثر كبير في المجتمع الأندلسي، وكثيرات منهنّ أصبح لهنّ شأوٌ وحظ كبير ؛ لاتصالهن بأصحاب المناصب العليا كالملوك والوزراء، ومنهنّ من غدون أمهات الملوك والأمراء .¹

أما في مجال الأدب والشعر فقد كانت المرأة بصفاتها الحسية والمعنوية ذات أثر بالغ في قرائح الشعراء وأذهانهم ، ممن تغنوا بأوصافها و مفاتها²، و لعل هذه المنزلة التي حظيت بها المرأة لم تكن وليدة هذا المجتمع ، بل موروثه عن مجتمعات سابقة وصلت فيها المرأة حدّ التقديس.

كما اتسم المجتمع الأندلسي بخلال وصفات ميّزته عن غيره من المجتمعات؛ فقد عُرف بحرصه على النظافة، واعتداله في إنفاقه واعتائه بالترتيب والأناقة، وبغضه للفوضى، وحبّه للعدل وتميّزه بالكرم والجود والمروءة، وعشقه للجمال الطبيعي الذي حبا الله به بلادهم من مروج وأزهار وبحار وثمار، فاحتفى الأندلسيون بتلك المظاهر أيّما احتفاء، وقد قال عنهم المقرئ: " أهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناء بما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك فيما يتعلق بهم، ومنهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائماً وبيتاع صابوناً يغسل به ثيابه ... وهم أهل احتياط وتدبير للمعاش، وحفظ لما في أيديهم خوفاً من السؤال ..."³

و شُغف الأندلسيون بالعلم وأقبلوا على النهم من موضوعاته وفنونه، وتنوعت مصادر علومهم، فمنها العلوم الطبيعية، واللسانية، والفقهية، وتمتع العلماء بمنزلة رفيعة ؛ لأن الأندلسيين كانوا "يعظمون من يعظمه علمه ، ويرفعون ، من رفعه أدبه ... فتتنافس الناس في العلوم ، وكثُر الحذاق في جميع الفنون " ⁴

¹ ينظر، توفيق، عمر: صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، ص 116 _ 117 .

² ينظر: المرجع السابق ، ص 125 .

³ التلمساني، المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح، إحسان عباس، دار الشروق ، عمان، 1997م ، ج 1 ، ص 223 .

⁴ ينظر، المصدر السابق ، ج 1، ص 157.

فخشي أصحاب السلطة مكانة العلماء ، ورهبوا جانبهم، ورفعوا قيمتهم، فاستحقوا بذلك الإجلال والاحترام من خاصة المجتمع وعامته¹، وأقبل الناس على أخذ العلم من المساجد التي كانت منابر للعلم والثقافة بباعث من نفوسهم ، وهو حبّ العلم والرغبة في التميّز .
ومن الملاحظ مما سبق أنّ الأندلسيين قد أولوا لكل علم من العلوم عناية خاصة ساعدت على تطويره وإنمائه ، فأضحت الأندلس منارة علمية أشرق نورها من بداية الفتح الإسلامي، وواكب الخلافة الأموية، وبلغ أوجه في عصر الطوائف .

¹ ينظر: الشكعة ، مصطفى : الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه ، ط 5 ، دار الملايين ، بيروت ، 1983م ،

المبحث الرابع: الدولة العبّادية في إشبيلية

اعتلت الأسرة العبّادية منصة الحكم في إشبيلية على مدى سبعين عاماً، وتقلّدت مكانة مهمة بين إمارات عصر الطوائف بقوّتها ونفوذ سلطتها؛ فانقاد لملوكها المجد، وكلّهم العز، وتناقلت كتب التاريخ أخبارهم، ونظم الشعراء القصائد الطوال بذكر محاسنهم ومآثرهم .

وأول من طمّح إلى هذه الخطوة جدّهم أبو الوليد (إسماعيل بن محمد) الذي جمع في شخصيته أشرف الخلال والصفات، فعُرف بنزاهته، وغازاة علمه، ووفور عقله، وذكائه وكرمه، فنال ثقة المنصور بن أبي عامر، ووّلي خطة القضاء بإشبيلية والعديد من المناصب في دولة الحكم المستنصر بالله وابنه هشام المؤيد¹ .

عاصر أبو الوليد الفتنة البربرية، وكان شاهد عيان يراقب ما يدور حوله من فتن واضطرابات في أحوال البلاد، ويسجّل ويفكر بصمت ، يحدوه أمل دفين ورغبة كبيرة في جمع خيوط الرياسة في يديه والاستئثار بحكم إشبيلية²، فنذر نفسه للدفاع عنها، وحمائتها وإبعاد خطر البربر المحقق بها ، وعمل على إصلاحها واتباع الطريقة المثلى في سياستها³؛ مستنداً في ذلك على حنكته ودمائة خلقه، ولين جانبه ورأيه الراجح، فضلاً عن ثرائه الواسع وكرم نسبه⁴، فاستطاع استمالة وجهاء إشبيلية وأكابرها وضمهم إلى جانبه⁵، وظل حلم تأسيس دولة عظيمة يراوده إلى أن كُفَّ بصره، فولّي ولده أبو القاسم (محمد بن إسماعيل) دفة القضاء بعده ، فأكمل الدرب، وأتمّ الطريق، وأرسى لنفسه قواعد الحكم .

وقبل المضي في الحديث عن ملوك الدولة العبّادية، لا بُدّ من الوقوف على أعتاب المدينة التي احتضنت حكم تلك الأسرة، وكانت قاعدة انطلاقهم لبسط نفوذهم وتوطيد سلطانهم .

¹ ينظر : الحجي، عبد الرحمن علي : تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الاعتصام، القاهرة، 1983م، ص387 .

² ينظر: عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص 32 .

³ ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين : أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 152 .

⁴ ينظر: ابن الأبار: الحلة السيرة ، تح ، حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف ، مصر ، 1985م ، ج 2 ، ص 35.

⁵ ينظر: عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الطوائف ، ص 33 .

إشبيلية:

مدينة كبيرة وعريقة في غرب الأندلس وجنوبه، تقع على ضفة نهر قرطبة ويطلُّ عليها جبل الشرف¹، أصل تسميتها (إشبالي) ، وهي الأرض المنبسطة، بناها (يوليوس قيصر) واشتق لها إسماً من إسمه (رومية يوليوس)²، وإشبيلية (إشبانية) نسبة إلى (إشبان بن طيطش) الذي نزل فيها³.

لها كورٌ جليلة، ومدن كثيرة، وحصون شريفة، منها إقليم الشرف ، وهو إقليم كريم التربة، ودائم الخضرة⁴؛ فأشبيلية " مدينة كبيرة عامرة ذات أسوار حصينة، وأسواق كثيرة، وبيع وشراء وأهلها مياسير وجلُّ تجارتهم بالزيت يتجهزون به منها إلى أقصى المشارق والمغرب براً وبحراً"⁵.

و قال ابن بسّام في فضل إشبيلية ووصف أهميتها: " حضرة إشبيلية على قدم الدهر

قاعدة

هذا الجانب الغربي من الجزيرة، وقرارة الرياسة، ومركز الدول المتداولة، ومنها مهدت البلاد، وأنبثقت عليها الجياد الفرسان كأنها العقبان، وبهذا الأفق نزل جند حمص من المشرق فسميت حمصاً، ولما كانت دار الأعزة والأكابري ثابت فيها الخواطر، وصارت مجمعاً لصبوب العقول، وذوب العلوم، وميداني فرسان المنثور و المنظوم "⁶

وبذلك حظيت إشبيلية إلى جانب جمالها، الذي أودعه الله بها من طبيعة أسرة، بأوفر حظ ونصيب من التفضيل والتميز، فاستحقت أن تكون " عروس بلاد الأندلس "⁷، وقد بينَّ المقري التلمساني، أوجه فضلها وتميزها، فقال " ... وأما جواريتها ومراكبها براً وبحراً، ومطابخها،

¹ ينظر: الحموي، ياقوت : معجم البلدان، ج1، ص 232 .

² ينظر : الحميري، محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار ، ص 58 .

³ ينظر: المصدر السابق ، ص 58 . و حتاملة، محمد عبده : موسوعة الديار الأندلسية ، ط 1، المكتبة الوطنية ، عمان، 1999 م ، ج 1 ، ص 74 .

⁴ ينظر: التلمساني، المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ج 1، ص 158 .

⁵ الشريف الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن ادريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط 2، عالم الكتب، بيروت ، 1989م ، م 2 ، ص 541 .

⁶ الشنتريني، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 1 م 2، ص 11 .

⁷ التلمساني، المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 1، ص 208 .

وفواكهها الخضراء واليابسة أخذت من التفضيل بأوفر حظ و نصيب، وأما مبانيتها، فقد سمعت عن إتقانها، واهتمام أصحابها بها، وهي لا تخلو من الماء الجاري والأشجار المتكاثفة، كالنارنج والليم، والليمون، والزنبوع، وأما علماءها ... فأكثر من أن يعدوا، وأشهر من أن يذكروا، وكذلك الشعراء، والشاحين، والزجالين ... فغدت إشبيلية للأندلس أم قراها، ومركز فخرها وعلاها؛ إذ هي أكبر مدنها، وأعظم أمصارها¹.

فهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا، وقد ضرب بأهلها المثل في الخلاعة، وحب اللهو والعبث، وانتهاز فرصة الزمان ساعة بعد ساعة، ويعينهم على ذلك واديها الفرج، وناديتها البهج، وأهلها المياسير²، فهم " أخفُّ الناس أرواحاً، وأطبعهم نوادراً وأحملهم مزاحاً "³.

ولم يختلف حضورها السياسي عن تميزها الجغرافي وطبيعتها الساحرة فقد اكتست بثوب القوة والعظمة. وكانت حاضرة القوط قبل الفتح الإسلامي، ودامت عاصمة لهم قرابة قرن ونصف، إلى أن نقل الملك (ليو فخلدو) العاصمة إلى طليطلة⁴.

وبعد الفتح الإسلامي اتخذها عبد العزيز بن موسى بن نصير مركزاً لفتح ما بقي من مدن أندلسية، فكانت أعظم قواعد الأندلس شأنًا وبنیاناً⁵، واحتفظت بحضورها السياسي والاقتصادي على الساحة الأموية على الرغم من اتخاذ المسلمين في عهد بني أمية، قرطبة عاصمة لهم، فنُقش في صفحات تاريخها سطوراً من المنعة والإباء جعلتها تجدد نفسها في كل عصر، فتتلاءم وتتكيف، وتهضم الوافدين في قلبها على اختلاف أعراقهم وألوانهم.

كما عايشت إشبيلية الفتنة البربرية وكانت مسرحاً لكثير من الأحداث التي سبقت ظهور أمراء الطوائف، وبعد قيام تلك الإمارات تغلب بنو عبّاد عليها، فمرت بأبهى مراحل حياتها، وحلّقت في سماء الأدب والفن، واحتضنت كثيراً من الشعراء البارعين؛ فعجّ بلاط بني عبّاد بألوان من الصخب واللهو والشعر، في أجواء يلفّها جمال ساحر وطبيعة فاتنة.

¹ التلمساني، المقرّي : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3، ص 213 _ 214 .

² الأنصاري، شمس الدين : نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، ص 243 .

³ التلمساني، المقرّي : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3، ص 212 .

⁴ ينظر: عوض، عبد الفتاح : إشرافات أندلسية . ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 2007م،

ص 34 .

⁵ ينظر : حتاملة، محمد عبده : موسوعة الديار الأندلسية، ج 1، ص 74 .

فغدت في عهد بني عبّاد مملكة مستقلة استمدت قوتها ونفوذها من سطوة الأسرة التي سيطرت عليها¹ ، فتعاقب عليها ملوك هذه الأسرة في الحكم، وكانت مركزهم في السيطرة، وبسط النفوذ على غيرها من الإمارات ، وأول هؤلاء الملوك (أبو القاسم محمد بن إسماعيل) .

أولاً : دولة القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل (414 هـ _ 433 هـ) :

بدأ نجم القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بالظهور عقب وفاة والده؛ حيث آلت إليه خطة القضاء في إشبيلية بأمر من القاسم بن حمود حاكم إشبيلية في تلك الفترة، ولم يكن أبو القاسم مضاهياً لوالده بنبل أخلاقه واستقامته، إلا أنه كان نظيره في الذكاء، ووزارة العلم، وسعة المعرفة وبعد الرؤية، وشدة الطموح؛ وكان لا يعدم حيلة ملائمة توصله إلى ما يريد²، واستطاع بفضل ذلك إبعاد خطر القاسم بن حمود عن إشبيلية والتخلص من منافسيه على الحكم³ . فاكسب ثقة الإشبيليين ، فرفعوا شأنه وأعلوا مكانته، فانفرد برياستهم، وغدا أول ملوك بني عبّاد يحكم شعبه برفق ولين جانب كما يتخلص من خصومه ومنافسيه بهدوء وأناة .

وعمد أبو القاسم إلى شراء العبيد وحشد الرجال واقتناء السلاح، وكان مدركاً لما يحدق بمملكته من خطر الحموديين ومن والاهم من البربر، إلا أن هذا لم يحد من طموحه في توسيع مملكته وترسيخ جذورها⁴ .

وقد سعى أبو القاسم إلى تدعيم سلطانه، وإضفاء الشرعية على حكمه بإعلان ولائه للخليفة هشام المؤيد، آخر خلفاء دولة بني أمية، ودعا الناس إلى مبايعته والاعتراف به؛ مستغلاً حبّ الأندلسيين للخلافة الأموية وتعلقهم بذكراها⁵، وأراد بذلك دفع تهديد بني حمود، ودرء خطرهم للحفاظ على ملكه وملك سلالته من بعده . و على الرغم من أن هشام المؤيد هذا لم يكن إلا شبيهاً بالخليفة الذي ظلّ أمر موته مجهولاً للأندلسيين، إلا أنهم صدّقوا ما كان من أمر الخليفة والتفوا حول رايته، وحملوا السلاح للدفاع عن دار الخلافة التي انتقلت من قرطبة إلى

¹ ينظر: خالص، صلاح : إشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص 116 - 118 .

² ينظر: أدهم، علي : المعتمد بن عبّاد، مكتبة مصر، ص45 .

³ ينظر: عنان، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف ، ص34 .

⁴ ينظر: المرجع السابق ، ص35 .

⁵ ينظر: أدهم، علي: المعتمد بن عبّاد ، ص50 .

إشبيلية، فانظمت صفوفهم في وجه يحيى بن حمود حتى قتلوه وأخذوا برأسه إلى القاضي أبي القاسم¹ . فكسب تأييد عامة الناس على المستويين الشعبي والرسمي؛ ولا سيّما أنه ظهر بمظهر البطل الذي أعاد الحق إلى أصحابه² .

وبزوال خطر الحموديين بدأ أبو القاسم حملة عنيفة للقضاء على نفوذ البربر وإحراز انتصارات مكنته من الاستيلاء على مدن مجاورة ، وتمّ له أمر البلاد حتى توفي سنة 433هـ، بعد أن هياً ولده عبّاد لاستلام الحكم وإدارة شؤون الدولة .

ثانياً : دولة المعتضد بن عبّاد (433 هـ _ 461 هـ) :

استوى له الملك بعد وفاة أبيه، فكان أعظم ملوك الطوائف في عصره، وأشدّهم مكرًا ودهاء أقام مملكته على أسنة الرماح، وساس رعيته بالقسوة والاستبداد، بعدما أظهر لهم الود والصلاح³ فجاء بمهولات أذعرت من سمع بها ومن عاينها⁴، ولُقّبَ " بشيطان الأندلس " ⁵ حيث إنه أنفق معظم حكمه في محاربة ملوك الطوائف المجاورين له، وكشف حيلهم، وتدبير المكائد للإيقاع بهم⁶، وبلغ من جرأته وجلادته واستهانته بالدماء أن قتل ولده إسماعيل بيده، واتهمه بالفساد عليه⁷. فلا عجب إذن أن تتناقل كتب التاريخ أخبار حديقة الرؤوس المحنطة، التي كانت تملأ قلوب الناس ذعراً فيما تملأ قلبه غبطة وتزيد من ليالي أنسه سروراً⁸. فأية قسوة وجبروت جمع ذلك الملك في قلبه ؟ وكيف تسنى له أن يحتفظ بتلك الرؤوس مطيبة معطرة في خزائن الجواهر؟ يختال بها على أعدائه ويتركها عبرة لمن اعتبر، على الرغم مما عُرف عنه من جمال الصورة وتمام الخلقة وفخافة الهيئة ، وليس ذلك فحسب؛ فقد تميز بولعه باللهو والخمر، وكلفه

¹ ينظر: أدهم، علي : المعتمد بن عبّاد ، ص 53 _ 54 .

² ينظر: عفانة، فالنتينا: مملكة إشبيلية زمن بني عبّاد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2002م ، ص63.

³ ينظر: المراكشي، عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح ، محمد سعيد العريان ، ط3، القاهرة، 1963م،

ج 2 ، ص151، وابن الخطيب، لسان الدين: أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص156

⁴ ينظر: المراكشي، ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس ، ج3 ، ص 205 .

⁵ النويري، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح ، أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، 1992م ، ج 23 ، ص 449 .

⁶ ينظر: عنان، محمد عبد الله: دول الطوائف ، ص 53 .

⁷ ينظر: ابن الخطيب، لسان الدين ، أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص 156 .

⁸ ينظر: المراكشي، ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس ، ج 3 ، ص206 .

بالنساء، حتى أنه توسّع في اتّخاذ السريات ونوّع في أجناسهنّ ففشى نسله، وذكّر أنّ له عشرين من الذكور ومثلهم من الإناث¹ .

وسعى المعتضد لتوطيد ملكه " بالعدد السلطانية، والآلات الرئاسية فابتنى القصور السامية واعتمر العمارات المعلّّة، واكتسب الملابس الفاخرة، وغالى في الأعلاق السنّية ... واقتنى الغلمان الروقّة، واتخذ الرجال الزادة"²، فدانت له الملوك وأدعنت³ و أحرأ أنداده وأثبت تفوقه على منافسيه وبلغت إشبيلية في عهده من العظمة ما بلغت .

اضطلع المعتضد في تنفيذ مشروعه التوسيعي ، الذي يضمن له مدّ سلطانه وتوسيع قواعد مملكته، وإحرازه ما يؤهله أن يكون سلطاناً عظيماً ، فوضع الخطط واستل السيوف، وأغدق من ماله وفكره وجهده، فاستولى على إمارات غرب الأندلس كإمارة شلب وشنتمرية، ولبلّة، وجزيرة شلطيش، وولبة . وهكذا استطاع في نحو عشرين عاماً أن يقضي على سائر إمارات الغرب الصغيرة، ويبسط سلطانه عليها فاتسعت رقعة مملكته وامتدت⁴ .

وبعد استقامة الأمور له في الغرب ما لبث أن وجّه بوصلته نحو إمارات البربر الواقعة جنوب الأندلس ، فاستولى على إمارة رندة، وقرمونة، وأركش، ومورون، وخاض حروباً عدة مع أصحاب هذه الإمارات ومن والاهم ، و هبّ لنصرتهم كابن الأفضس صاحب بطليوس؛ إذ عاث المعتضد في أراضيه وافتتح منها عدة حصون ضمّها إلى مملكته⁵ .

ضمّ المعتضد إلى جانب سعة حيلته وتقوب ذهنه خاطرأ حاضراً ، وقريحة وقادة مكنته من قرص الشعر، وهيأت له الاعتناء بالأدب، فوصف بمحبته لأهل العلم والمعرفة، وليس هذا غريباً على الأسرة العبّادية التي اشتهرت بمآثرها العريقة في النظم والنثر .

وكأنّ ذاك الملك الجبار صاحب القلب الحديدي كان قادراً على إثبات براعته في جميع الميادين، وجمع في شخصيته من التناقض ما مكّنه من البطش بقوة، وإيادته أعدائه دون شفقة،

¹ ينظر: المراكشي ، ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس، ج 3 ، ص 207 _ 208 .

² ابن الخطيب ، لسان الدين : أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ص 156 .

³ ينظر: الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة، بيروت، ج 3 ، ص 316.

⁴ ينظر: عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف ، ص 44 .

⁵ ينظر: المرجع السابق ، ص 41 .

وتذليل الصعوبات أمام تثبيت قواعد مملكته، وما مكَّنه أيضاً من اتباع سجيته وإجراء الشعر على لسانه بما يتطلبه من جودة نظم وإحساس مرهف ، فرؤي له ديوان يحوي مقطوعات في الغزل والفخر والوصف¹.

وظلَّ المعتضد يتنقل بين حروبه وجلسات أنسه وسمره إلى أن وافته المنية وعلا النوح والبكاء في قصره سنة 461 هـ، على أثر ذبحة صدرية أصابته، فدُفن داخل قصره ، وفي تربة أبيه " القاضي محمد بن اسماعيل " ²، تاركاً لابنه المعتمد مجداً عظيماً مهاباً .

ثالثاً : دولة المعتمد بن عبَّاد (461 هـ _ 484 هـ) :

ولد المعتمد سنة 431 هـ في باجة، وكان عمره حين ورث ملك بني عبَّاد ثلاثين سنة³، وقد انتظم عقد إمارته، واستقر أمرها، ورسخت دعائمها، فيما كانت دويلات الطوائف الأخرى تعاني صراع الأطماع وفتك الحروب، ولم يأتَ ذلك للمعتمد لولا جسارة أبيه، وحنكته السياسية والعسكرية، التي تشربها في سن صغيرة ، فتعلَّم مهارة الرياسة وإدارة البلاد وقيادة الجيوش " فلم يزل المعتمد في جميع مدة ولايته والأيام تساعده والدهر على ما يريد يؤازره ويعاضده إلى أن انتظم له في ملكه من بلاد الأندلس مالم ينتظم لملك قبله " ⁴.

تفوقَّ المعتمد على ملوك أسرته " فكان من الملوك الفضلاء، والشجعان العقلاء، والأجواد الأسخياء المأمونين، عفيف السيف والذيل، مخالفاً لأبيه في القهر والسفك والأخذ بأدنى سعاية " ⁵.

إلا أنه مع هذا واطب على دفع الجزية إلى ألفونسو السادس ملك قشتالة؛ لدرء خطر المسيحيين عن مملكته⁶، فعاشت إشبيلية في عهده ترفاً ورخاءً، جعل أهلها ميالين للهو والمرح،

¹ ينظر : عنان، محمد عبد الله : دول الطوائف، ص 56 _ 57 .

² ينظر: ابن الأثير: الحلة السيرة، ج 2، ص 53 .

³ ينظر: النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 451 .

⁴ المراكشي، عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج 2، ص 189 .

⁵ ابن الأثير : الحلة السيرة، ج 2، ص 52 .

⁶ ينظر: ديورانت، ول : قصة الحضارة ، عصر الإيمان ، ترجمة ، محمد بدران، ط 2، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة،

1964 م ، ج 13 _ 14 ، ص 311 .

ولا أدلَّ على ذلك من قولهم " إذا مات عالم في إشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حُمِلت إلى إشبيلية " ¹

وقد كان المعتمد أشعر أهل زمانه بارعاً في النظم والنثر ، جزل الألفاظ ، حسن المعاني، بليغاً لائق الاستعارة ² ، ورث ذلك عن أبيه وجده ، إلا أنه فاقهم في قرض الشعر وتجويده، وانتقلت هذه الملكة إلى أبنائه من بعده ، لا سيَّما أن زوجته اعتماد الرميكية كانت شاعرة بارعة أيضاً، رافقته مجالس أنسه وطربه .

ولم تمنع رهافة حسِّ المعتمد ورقة شاعريته من أن يكون له باع في غمار السياسة وخوض الحروب، فخطَّت كتب التاريخ قصص شجاعته وإقدامه، وتناقلت أخبار انتصاراته التي تُوجت باستيلائه على عرش قرطبة، وظلت إشبيلية تدين لهذا الملك بالإجلال والعظمة إلى أن دقَّ ناقوس الخطر أبوابها، وعمدت الدولة المسيحية إلى زعزعة أركانها كغيرها من إمارات الأندلس ، فأيقن المعتمد أن الاستجداد بيوسف بن تاشفين ضرورة ملحة ؛ لدفع خطر الدولة المسيحية عن الأندلس وإن كان مدركاً في قرارة نفسه أنه يخطُّ بذلك نهاية مملكته وزوال عهده .

فقد أثرَ ضياع مملكته في حمى المرابطين على عودتها لديار الكفر تحت سيطرة المسيحيين وسار على نهجه بعض الإمارات الأخرى، وكان ليوسف بن تاشفين القادم من مراكش المغرب هيبة وشكيمة بسطت سلطانها على المغرب، وأرهب صيتها ملوك الفرنج، مما أثارَ حذرَ ملوك الأندلس وخوفهم ³ .

فاتَّحدوا بعدتهم وعتادهم تحت رايته ؛ لمواجهة الفرنجة، فتغلَّبوا عليهم ، وتمَّ لهم النصر في موقعة الزلاقة في عام 479 هـ، وقد أعزَّ الله بها المسلمين، وكانت الخسائر فادحة في كلا الطرفين إذ سالت الدماء بغزارة⁴، وأبعدَ المسلمون خطر الأعداء ، لما أظهرُوا من بسالة ورباطة جأش.

¹المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، ص 461 .

² ينظر: المصدر السابق ، ص 157 .

³ ينظر: الأدهم ، علي : المعتمد بن عباد، ص 212 _ 215 .

⁴ ينظر: عنان، عبد الله : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط 1، مطبعة الجديد، القاهرة، 1929م ،

ص 113 .

و قد عاد ابن تاشفين أدراجه الى المغرب بعد انتهاء المعركة إلا أنه ما لبث أن عاد الى الأندلس ؛ للقضاء على جيش ألفونسو الذي كان يعدُّ العدة ؛ ليهاجم المسلمين مرة أخرى، وقد كان لابن تاشفين من الدهاء وقوة النفوذ والحنكة السياسية ما جعله ينقذ المسلمين في الأندلس من أعدائهم من جهة ، ومن تسلط حكامهم الذين لم تمنعهم هذه المحنة من العودة إلى الشقاق والتناحر من جهة أخرى ، فأوقف مدَّ النصارى ووحّد البلاد ، وخلصَّ العباد من سطوة ملوك أرهقوا كاهلهم .

فوقع المعتمد وعائلته في دائرة الزمان، وعاش البؤس والضنك ، وضيق الحال في سجنه "بأغمات" بعد أن ساءت علاقته بيوسف بن تاشفين ، وقد ظلَّ أسيراً لديه ، حتى وافته المنية سنة 488هـ، فكان خاتمة ملوك بني عبّاد .

المبحث الخامس: الحركة الأدبية في عهد بني عبّاد

لم يكن الانحلال السياسي والصراع السلطوي الذي تداعى سمّه في صلب الإمارات الأندلسية في فترة القرن الخامس الهجري عائقاً أمام ارتقاء الأدب والفكر سلّم الازدهار، وبلوغه مصاف التألق، فقد رافق الأدب التطور الحضاري لمجتمع ذاك العصر المترف، ورصد جوانب تلونه ببراء فاحش، وبتفنن عمراني متقن، ولهو ومجون، احتضنته بيئة أندلسية خلّابة الحسن فاتنة الملامح، فعمّت مجالس الأدب، وعمرت مندييات الشعر بشعراء وشاعرات كان شعرهم صدقاً لملاحح الحياة العامة في مجتمعهم.

وحظي الأدب في عصر الطوائف باهتمام الولاة والأمراء، وغدا سلعة " يصدق عليها مبدأ العرض والطلب، وكان نفاقها بمقدار ميل الأمير لها أو حاجته إليها، أو قدرته على تقديرها واستساغتها"¹، الأمر الذي شكّل حافزاً للشعراء؛ لتجويد شعرهم والعناية به لجذب أنظار الأمراء والظفر باهتمامهم، فمضى الشعراء يطوفون الأندلس طولاً وعرضاً يرابطون في قصور الأمراء ويعرضون أشعارهم؛ طمعاً في وصلهم ونيل هباتهم وعطاياهم، واشتدت المنافسة بينهم، وكثر الطلب عليهم، فرفعوا أسعار أشعارهم²، "حتى أنّ أحد شعرائهم بلغ ما رآه من منافسة في أمداحه أن حلف أن لا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلّا بمئة دينار"³.

وبلغ من اهتمام الأندلسيين بالشعر أنه " لا يكاد بلد منها يخلو من كاتبٍ ماهر أو شاعرٍ قاهر"⁴، وأن أصحاب المناصب والوظائف الكبرى كانوا لا يتراسلون إلا شعراً، وحملت أشعارهم طابع المدائح والأهاجي، والاعتذارات والدعوات، إضافة إلى تسجيل لمحات من حياتهم، ووصف لمشاعرهم وعواطفهم⁵.

¹ عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف، دار الشروق، عمان، 1997م، ص 57.

² ينظر: جوميث، إميليو جارتيا: الشعر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، ط 2، دار الرشاد، القاهرة، 2005م، ص 35.

³ التلمساني، المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3، ص 190.

⁴ الشنتريني، ابن بسّام: النخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م، ق 1 م 1، ص 33.

⁵ ينظر: جوميث، إميليو جارتيا: الشعر الأندلسي، ص 35.

وابتدع الشاعر الأندلسي موضوعات جديدة إلى جانب نظمه في الموضوعات التقليدية التي امتدت جذورها إلى المشرق العربي ، كالمديح، والهجاء، والغزل، والوصف، والزهد، والفخر المراسلات الشعرية، وإن كان شعر الطبيعة قد استأثر باهتمام أولئك الشعراء ، فقد كان لموشحاتهم، وأزجالهم قصب السبق في تميّزهم وارتقائهم، لما حملته من سمات تغيير في شكل القصيدة، ووزنها وموسيقاها وألفاظها، إلى جانب احتوائها كل أغراض الشعر وموضوعاته .¹

ومن الموضوعات التي أضفى عليها الأندلسيون طابعهم الخاص شعر المعارك البحرية، حيث تفنن الشاعر الأندلسي في وصف الأساطيل البحرية، التي كانت تذود عن ثغور الأندلسيين وتدفع عنها خطر أعدائها وهي ماخرة عباب البحار والمحيطات في مشهد حافل يثير قريحة الشاعر ويدفعه الى التأمل والنظم .

ومتلما بكى المشرق سقوط مدنه ودوله ، ندب الأندلسيون سقوط إماراتهم و دويلاتهم واحدة تلو الأخرى في يد عدوهم، فرثوا ضياع فردوسهم والكوارث التي حلت بأبنائها في صورة تراجيدية بالغة الحزن ، فبات كل شيء متألماً متحسراً متفجعاً على فقدان الأندلس ، وقد ضرب الشعراء أمثلة رائعة في الوفاء لدولهم الزائلة ، وملوكهم الغابرين ممن قادوا الحضارية الإسلامية في أوج انتصاراتها وعظمتها والأمثلة على ذلك كثيرة:

وقد أورد صاحب النفح قصيدة مطوّلة في ندب طليطلة التي سقطت بيد العدو، يقول:

{ الوافر }

طليطلةً أباح الكفر منها	حماها، إنَّ ذا نبأً كبيرُ
وأخرج أهلها منها جميعاً	فصاروا حيث شاء بهم مصيرُ
وكانت دارَ إيمانٍ وعلمٍ	معالمها التي طُمست تُتيرُ
فعادت دارَ كفرٍ مصطفأةً	قد اضطربت بأهلها الأمور ²

ويرثي ابن حمديس إشبيلية وملك بني عبّاد بقوله :

¹ ينظر: الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه ، ص 451 .

² المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 6، ص 360 .

{ الطويل }

أبادَ حياتي الموتُ إن كنتُ سالياً
أمرُّ بأبوابِ القصورِ وأغتدي
وأحداثِ آثارٍ إذا ما غشيَتْها
سأدمي جفوني بالسهادِ عقوبةً
وأمنعُ نفسي من حياةٍ هنيئةٍ
لأنك حيٌّ تستحقُّ المراثي¹
وأنتَ مقيمٌ في قيودك عانياً
لمن بانَ عنها في الضميرِ مناجياً
فَجَرْتُ عليها أدمعي و القوافي
إذا وقفتُ عنكَ الدموعَ الجوارياً

لقد أظهر الأندلسيون تفوقهم في شتى الفنون القولية والنثرية، وأبرزوا براعتهم في العلوم المختلفة، إذ كتب الناثرون في فن الرسائل الإخوانية والديوانية والعلمية، كرسائل ابن حزم، والشقندي، كما لقيت القصة اهتماماً من أدباء الأندلس، فكتب ابن شهيد قصة " التوابع والزابع "، وكتب ابن طفيل قصة " حي بن يقظان "، وكلتاهما تفصح عن أدب رفيع وفلسفة عميقة .

فكان لحدقهم في علوم الفلسفة والمنطق، ومعرفتهم بالفلك والتنجيم، وقدرتهم على تسجيل الوقائع والأحداث، وتتبع السير والتراجم التاريخية، وعنايتهم بعلوم النحو والبلاغة والنقد والشعر وعلوم القراءات والحديث والفقه، ودرابتهم بالمعالم الجغرافية والطبيعية، التي خص الله بها بلادهم حضور واضح في آثارهم الأدبية والتاريخية، فكثرت الكتب والمصنفات التي أولت كل جانب من جوانب تلك العلوم والفنون اهتماماً ومتابعة .

وبعد الاطلاع على أبرز سمات الحياة الأدبية في عصر الطوائف كان لا بدّ لهذه الدراسة من الوقوف على مصطلح التأريخ بمفهومه، واتجاهاته العامة، والعناية بما يخصه في ذلك العصر، بجوانبه، وأبرز مؤرخيه؛ بوصفه ركناً أساسياً ترتكز عليه هذه الدراسة .

أولاً : علم التاريخ في الأندلس :

جاء ظهور علم التاريخ عند العرب بعد ظهور الإسلام، وكان علماً قائماً بذاته، وقد سار في اتجاهين هما: الاتجاه الإسلامي الذي اختص بالحديث وما يتعلق بالرواية والسند، والاتجاه القبلي المهتم بدراسة الأنساب والأيام والشعر².

¹ ابن حمديس : الديوان، صححه وقدم له، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 530 _ 533 .

² ينظر: العجم، رفيق : موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي والإسلامي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت 2000م، ص

فرافق بذلك علم التاريخ مراحل تطور الأدب ، بسرده أخبار العلماء والشعراء والمؤلفين، كما ارتبط بالترجمة لحياة الخلفاء ، والملوك والأمراء، والفضلاء والزهاد، وسيرهم ومآثرهم، وما أحدثه الدهر بهم؛ لنقل تجاربهم، وأخذ العبرة والعظة، وتحصيل الفائدة¹. وهذا ما ميّز حركة التأريخ في الأندلس في العصرين الثالث والرابع الهجريين ، إذ لم تقف عند حدود معينة بل اتسعت لتشمل مناحياً متعددة من التاريخ العام والخاص، وكتب التراجم، فقد صبّ أمراء ذلك العصر وحكامه عنايتهم على شتى المعارف والعلوم ، وأغدقوا من أموالهم لتحفيز العلماء، وامتلاك الكتب والمؤلفات، وإنشاء المؤسسات الثقافية: كالمكتبات العامة والخاصة².

وأبرز هؤلاء الحكام (الحكم المستنصر) الذي وصفه ابن حيان بأنه من أهل الدين والعلم، راغباً في جمع العلوم والفنون، حريصاً على الأنساب، مستجلباً للعلماء والرواة من جميع الأفاق و مولعاً بمجالسهم وأحاديثهم العلمية³

فنبغ عدد من المؤرخين في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، كابن القوطية القرطبي " ت367هـ" وابن شهيد " ت 393 هـ"، وابن الفرضي " ت 403 هـ " .

ومع بزوغ القرن الخامس الهجري ظهرت في الأندلس حركة تأريخية واسعة وناضجة، كان باعثها المحنة التي حملها ملوك الطوائف للأندلس، إذ إنّ أوضاع البلاد المتمثلة في الصراع الداخلي والخارجي أثرت بوضوح في كتابات المؤرخين ، وجعلتهم يشعرون أن لبلادهم تأريخاً يستحق الكتابة والتخليد⁴.

فاعتنى الأندلسيون بهذا العلم وأولوه أهمية خاصة لما ضجّ به عصرهم من أحداث وسير، كانت ذات منحنيات، وتجاعيد، تشف عن علاقات متأرجحة، ومنقضة على ذاتها وواقعا .

¹ ينظر: العجم، رفيق : موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي و الإسلامي ، ص 466 _ 469 .

² ينظر: بني ياسين، يوسف أحمد : علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، مؤسسة حمادة للدراسات، الأردن، 2002م ، ص 88 _ 90 .

³ ينظر : ابن الأثير: الحلة السيرة، ج 1، ص 201 .

⁴ ينظر: الجمل، شوقي: علم التاريخ نشأته وتطوره ووضع بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه ، ط 2، دار المعارف، القاهرة ، 1987م ، ص 51 _ 52 .

وَأَسْمَ علم التاريخ في هذا القرن بالتكامل والتماهي مع المعارف والعلوم المختلفة كعلوم اللغة والأدب والجغرافية والفقه والفلسفة؛ فقد سخر المؤرخ مطالعته وثقافته المتعددة في خدمة هذا العلم ، فتمازجت ألوان المعرفة، وتداخلت في طابع شمولي يحوي عناصر متنوعة دالة على اللامحدودية التي يتصف بها علم التاريخ .¹

لذلك لا يمكن حصر فائدة علم التاريخ في التسجيل ، أو نقل أخبار هذا العصر، فهو ليس مجرد مادة جافة و جامدة، بل يحمل في طياته فكراً، و إبداعاً، وبحثاً دقيقاً ، من خلال مؤرخ موهوب وعبقري، يتمحور دوره في استخلاص النتائج وتفسيرها، والوقوف على ما وراءها من أسباب ومقدمات، والتوغل في صلب الأحداث، ودقائق الأمور؛ للتوصل إلى صورة غاية في الدقة والوضوح .

ومن أبرز المؤرخين في هذا العصر، حيّان بن خلف بن حيّان " ت 469 هـ " ، ويكنى أبو مروان، من أهل قرطبة، وصفه أحد تلاميذه بأنه كان " عالي السن، قوي المعرفة، مستبحراً في الآداب و بارعاً فيها، صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهم نظاماً "² وقد أثر في مسيرة الحركة التاريخية في الأندلس وأكسبها الموضوعية والصدق؛ ذلك أنه ليس ممن يخلدون إلى السكوت بل وصف ملوك عصره بما هم أهل له، فواقاه الله مغبة هذه الجراءة و الصراحة في قول الحق ³ .

فجاد قلمه بتسجيل أحداث عصره عن كثب بعقلية نفاذة، وبصيرة متعمقة، جمعها في مؤلفاته التي مازالت شاهد عيان على الأندلس في تلك الحقبة وغيرها، ومن أبرز هذه المؤلفات: (المقتبس) ويتناول فيه تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي 91 هـ حتى نهاية خلافة الحكم المستنصر 366 هـ ، و كتاب (أخبار الدولة العامرية) وفيه يتحدث عن الفترة الواقعة بين تولي هشام المؤيد الخلافة حتى ثورة المهدي ، أي منذ قيام الدولة حتى زوالها والإطاحة بها ، أما عن

¹ ينظر: ابن عبود ، امحمد : جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، ط1، مطابع الشويخ ، تطوان، 1999م ، ص 148 .

² ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك : كتاب الصلة ، مطابع سجل العرب ، 1966م ، ق 1 ، ص 153 .

³ ينظر: ابن حيّان القرطبي : المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح : محمود مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م ، ص 47 .

أخبار عصر الطوائف، فيُفرد كتابه (المتين) للحديث عنه، في حين يتناول كتابه (البطشة الكبرى) أحداث النكبة الجهورية .

وتؤلف معاً هذه الكتب ما يُسمى (بالتاريخ الكبير) الذي تحدث فيه عن الأندلس منذ الفتح الإسلامي، حتى قرب وفاة المؤلف 463 هـ .

وفي الحقبة ذاتها يُقابلنا عالم آخر عرف بذكائه وبراعته، وهو ابن حزم " ت 456هـ" من أهل قرطبة، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، عاش فترة كبيرة من عمره عيشة الزهاد، على الرغم من غناه ووفرة ماله¹، و كان ابن حزم حافظاً عالماً بعلوم الحديث والفقه، مستتباً الأحكام من الكتاب والسنة، له مؤلفات كثيرة في علوم شتى²، فألف في الفلسفة، وعلوم الدين والتاريخ، ومن مؤلفاته: كتاب (جمهرة أنساب العرب)، وكتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) وهو في تاريخ الأديان، ومجموعة من الرسائل. التي تهدف إلى تقديم المعرفة وخدمة المجتمع وإصلاحه، ونبذ الفساد، ومداواة النفوس، والرجوع إلى القرآن والحديث في التشريع³.

ومن المؤرخين الذين جاؤوا في وقت متأخر عن القرن الخامس الهجري ، الفتح بن خاقان " ت 528 هـ "، وعبد الواحد المراكشي " ت 647 هـ "، وأبو عبد الله بن الأبار " ت 658 هـ"، وابن عذارى المراكشي " ت 695 "، ولسان الدين بن الخطيب " ت 776 " .

ومن أبرزهم أيضاً ، ابن خلدون إذ كان له بصمته الخاصة في علم التاريخ " ت 808هـ" وهو عالم اجتماعي أصله من إشبيلية⁴، تطورت فلسفة التاريخ بظهوره، فقد درس الفلسفة، وعلم الدين، والتاريخ، وطبّق دراسات الفلسفة والفكر العقلاني على علم التاريخ فأكسبه بعداً فلسفياً جديداً⁵، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم

¹ ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، م 3، ص 254 .

² ينظر: الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م، ق 2، ص 489 _ 490 .

³ ينظر: خليفة، عبد الكريم : ابن حزم الأندلسي حياته و أدبه، مطابع معتوق إخوان ، بيروت، ص 140 .

⁴ ينظر: الزركلي ، خير الدين: الأعلام ، ج 1 ، ص 330 .

⁵ أحمد، أحمد رمضان: تطور علم التاريخ الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة ، م 13، ع 2، 1987م، ص 71 _ 72 .

والبربر)، ويقع في سبعة مجلدات أولها (المقدمة) التي تتناول علم التاريخ وفضله، وشروط العاملين فيه، وأصول علم الاجتماع .

لقد كان لهؤلاء المؤرخين وغيرهم، أثر في تطور علم التاريخ وتعزيزه إذ قام هذا العلم في الأندلس بدور رائد ومهم، فكان عدسة مصور بارع تلتقط الأحداث والمجريات، وتسجلها؛ لتنتقل للأجيال الأخرى تجارب الآخرين وخبراتهم ، ممن خلدتهم التاريخ وأفرد لهم من صفحاته، كالعلماء، والناهبين والبارعين، والرؤساء، والقادة، والملوك العظماء، وغيرهم، ممن كان لوجودهم على هذه البسيطة، أثرٌ في تغيير وجه التاريخ .

ثانياً : الشعر في ظل بني عبّاد:

لقد حظيت إشبيلية حاضرة الإمارة العبّادية، بعظمة أدبية تزعمها أمراؤها الشعراء، الذين تعاقبوا على حكمها، فالقاضي ابن عبّاد زاول نظم الشعر، وأثرت عنه مقطوعات شعرية قليلة ، وقد ذكر أبو الوليد الحميري صاحب كتاب " البديع في وصف الربيع " في المقدمة ، أن من دوافع تأليف كتابه ، إرضاء القاضي أبي القاسم وابنه عبّاد ؛ لميلهما إلى هذا النوع من الشعر الذي يتغنى بالطبيعة ومفاتها ، كما تمتع المعتضد على الرغم من قسوته وجبروته بحس شعري مرهف " فكان شغوفاً بالفنون أريحياً جواداً يغمر الشعراء بالعطايا، والهبات الكثيرة على المدح القليل " ¹، وقد تفوق المعتمد على الأمراء الشعراء في عصره ؛ فكان بلاط بني عبّاد قبلة يتوجّه إليها أكبر الشعراء وأكثرهم موهبة، ولا سيما أنهم تميزوا بالحنو على الأدب، وبذل العطايا والهبات، فقاموا "بما لم يقم به بنو حمدان في حلب، وكانوا هم وبنوهم ووزراؤهم صدوراً في بلاغتي النظم والنثر"².

فتحولت قصور أمراء العهد العبّادي إلى منتديات أدبية زاهرة، يتبارى فيها الشعراء بإنشاد قصائد بليغة الكلم رفيعة الصور، فائقة الحسن، تجاري بلاغة الأمراء السامعين وحذقهم.³

¹ دوزي : ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام ، مكتبة و مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1933م ، ص 98 .

² المقري التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3، ص 191 .

³ ينظر: توفيق ، عمر: صورة المجتمع الأندلسي ، ص 229 .

فتناقل الشعراء سير المعتضد، ومآثره وحروبه وتغنوا بانتصاراته ومن أبرزهم ، ابن زيدون " ت 463هـ " ، الذي اتصل بالمعتضد وتولى وزارته ، ثم اتصل بابنه المعتمد من بعده، وقد حوى ديوان ابن زيدون قصائد كثيرة في مديح كلا الملكين ، تكشف عن براعة الشاعر وابداعه ، مما جعله شاعر الدولة الأول .

وقد كان عهد المعتمد عهد ازدهار للأدب، وتفوق للشعر، إذ التف حوله طائفة من الشعراء الأفاضل الذين خلدهم التاريخ وربطهم بسيرته وذكوره، وكابن شرف القيرواني " ت 460 هـ " ، وعبد الجليل بن وهبون " ت 484هـ " وهما من أبرز وأهم شعراء ذلك العصر ، وابن اللبانة " ت 507 هـ " الذي لم ينقطع عن رثاء دولة بني عباد بعد سقوطها وتبدد أمرها ، فكان من شعراء الدولة المخلصين والأوفياء ، ومن شعراء المعتمد المبدعين والنابهين أيضاً، ابن حمديس الصقلي " ت 527 هـ " ، و ابن عبدون اليابري " ت 529 هـ " .

وقد احتفى المعتمد بشعرائه أيما احتفاء ، وأجزل لهم العطايا والهبات، واختص بعضهم بوزارته، فكانوا حاشيته وأصدقائه المقربين منه، كابن عمار " ت 477 هـ " ، حيث جمعته وإياه أيام ود وصفاء، فلم ينتهي عن منادمة الملك ومشاركته مجالس لهوه وسمره، فكان موضع ثقته، وأشد المقربين لقلبه .

وقد وصف المستشرق الإسباني (بالنثينا) ، الحركة الشعرية في ظل بني عباد، وما جادت به قرائح الشعراء، وكيف استقامت لهم بذور النبوغ والإتيقان بقوله: " لقد كان المعتضد والمعتمد من أعلام الشعر، ومن ثم لا نستغرب أن يكون بلاطهما مدرسة تخرج فيها أهل الآداب، وقد وصلت الخمريات وشعر النسب والغزل أعلى درجات الكمال في ذلك البلاط المصقول، حيث عجز شعراء مجيدون من طبقة علي بن حصن، وابن حمديس الصقلي، وأبي بكر بن زيدون، وأبي بكر بن اللبانة، وغيرهم كثيرون _ عن إدراك ما وصل إليه ابن عمار وزير المعتمد النابه ... وقصروا كذلك في ملاحقة اعتماد نفسها ... فضلاً عن مجارة الملك الشاعر المعتمد فيما أبدعه من رائع القصيد " ¹ .

¹ بالنثينا، أنجل جنتال: تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 15 _ 16 .

و تُظهر كلمات (بالنتينا) مدى إقبال بني عباد على الشعر واهتمامهم به ، إذ كانوا رعاة صادقين للأدب محيطين أنفسهم بهالة من العظمة والرقي ، يحاكون في ذلك أمراء المشرق وحكامه الذين أغدقوا على الأدب جزيل عطاياهم، فكانوا وجلساءهم يتغنون، ويرقصون على أجزل الكلمات، وأرق العبارات، وأعذب النغمات، كمجالس أمراء الدولة العباسية .

ومما يؤثر أيضاً عن اهتمام بني عباد بالشعر أنّ المعتمد كان أعظم شعراء الأندلس، يُرسل الدعوات للشعراء للإقامة في مملكته، ويُلزمهم خدمته مقابل إجزاله لهم بالعطايا والهبات حتى أنه أجاز إحدى الملح الشعرية بألف دينار¹ . ولم يكن ذلك الأمر متاحاً لكل شاعر؛ فالمعتمد كان يمتحن أولئك الشعراء ، ويختبرهم ، الأمر الذي أدى إلى زيادة المنافسة بينهم في سبيل بلوغ منزلة خاصة يحظى بها الشاعر البارح بالجاه والمال² .

فكثرت الشعراء الوافدون على الأسرة العبّادية، كابن زيدون الذي وفد على المعتمد من قرطبة ، وابن اللبّانة الذي وفد على المعتمد من دانية، وعبد الجليل بن وهبون من مرسية، وابن حمديس من صقلية .

ومما يؤثر عن أخبار المعتمد في مجالس سهره وأنسه، ما جاء به أبو الفتح بن خاقان بقوله " (وأخبرني أبو بكر بن عيسى الداني) المعروف بابن اللبّانة أنه استدعاه ليلة إلى مجلس قد كساه الروض وشيه ، وامتثل الدهر فيه أمره ونهيه فسقاه الساقى وحياه و سفر له الأُنس عن موثق محياه ، فقام للمعتمد مادحاً ، وعرى دوحة تلك النعماء صادحاً ، فاستجاد قوله ، و أفاض عليه طوله ، فصدر ، و قد امتلأت يداه ، وغمره جوّده و نداءه³ .

وفي موضع آخر يصف به أيضاً مجلس المعتمد " وأقامت به خيل السرور طرادها وأعطته الأمانى انطباعها وانقيادها ، وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها ، وخلعت عليه

¹ ينظر : ديورانت ، ول : قصة الحضارة ، عصر الإيمان ، م 13 _ 14 ، ص 291 .

² ينظر : التلمساني، المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 3 ، ص 616 _ 617 .

³ ابن خاقان ، الفتح : فلاتد العقيان في تراجم جملة من الرؤساء و الوزراء و جماعة من أعيان القضاة و العلماء و الشعراء ، القاهرة ، 1284، ص 6 .

الشمس شعاعها، ونشرت فيه الحدائق أبناعها ، فأديرت الراح ، وتعوطيت الأقداح ، وخامر النفوس الابتهاج والارتياح ، و أظهر المعتمد من إيناسه ما استرق به نفوس جلاسه " ¹ ويصف عطايا المعتمد وجوده وكرمه لمن يُعجب بمدحه وجميل لفظه " فطرب حتى زحف من مجلسه وأدناه ، حتى أجلسه مجلس الأكفاء ، وأمر له بدنانير عدداً، وملاً بالمواهب منه يداً" ²

رسم أبو الفتح بن خاقان صورة واعية وناضجة لمجلس المعتمد بن عبّاد وما دار في فلكه من تمجيد الشعراء ، والعناية بهم وبذل العطايا لهم ، وما خامر ذلك من لهو وسرور وطرب رائق على إيقاع قصائدهم .

إنّ احتضان المعتمد الشعراء وتشجيعه لهم كان ؛ انطلاقاً من ثقافته الأدبية التي جعلته ناقداً مجيداً للشعر كما أنّه كان يُطرب للمديح ، والإشادة بمآثره، وتخليد أعماله وانتصاراته ³، فمضى يستقطب حوله طائفة من الشعراء النابغين ممن يشهد لهم بالموهبة والإتقان .

ولعل هذا الاهتمام يعود أيضاً لكون الشعر كما أطلق عليه السابقون " ديوان العرب " وسجلهم الحافل بالانتصارات، والهزائم، فالشعر على مرّ العصور والأزمان، أصدق تعبير عن واقع الأمم وآمالها، ومعاناتها، وهو الذي يقودها إلى أقصى حالات الحلم .

فقد أكسبت الحركة الأدبية في الأندلس عصرَ الطوائف ، بريقاً ولمعاناَ وصفة خاصة على الرغم من الواقع السياسي، الذي ضمّ في داخله كلّ بذور الشقاق والفساد، فكان الشعر بمثابة طوق النجاة للسان والمجتمع من براثن الفوضى والتفكك .

فقد كان هذا العصر موطن أقوام ولغات عديدة، انصهرت جميعها في روح الشعر، مفرزة عبارة شعرية خالية من أيّة مؤثرات خارجية ⁴، وفي هذا دليل على قدرة الشعر ومرونته في استيعاب الأحداث والمجريات وأي مؤثرات أخرى .

كما أن الفنون وما يتعلق بها من وسائل المتعة واللهو كالشعر والغناء والرقص جزء رئيس من حياة أصحاب الترف والثراء ؛ فقد كان الشعر حاجة نفسية وضرورة ملحة الوجود

¹ ابن خاقان ، الفتح : قلاهد العقيان في تراجم جملة من الرؤساء و الوزراء و جماعة من أعيان القضاة و العلماء و الشعراء ، ص 7 .

² المصدر السابق ، ص 7 .

³ ينظر: خالص، صلاح : إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص 151 .

⁴ ينظر : الجبوسي ، سلمى الخضراء : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج 1، ص 476 .

في طبقة بني عباد الأرسقراطية، ولم يكن مظهراً من مظاهر الوجاهة ، ودليلاً على الارتقاء الفكري والثقافي فحسب .¹

فاحتضنت الأسرة العبادية الشعر، وضمنت له ركائز الازدهار، وقد يذهب الباحث في الأدب الأندلسي إلى القول : إنَّ تلك الفترة كانت أكثر فترات الشعر نشاطاً وتقدماً، وربما يحدوه الظن به إلى أن كل أهل الأندلس، كانوا أصحاب بلاغة وفن لا يضاهي حسنه، فلا يستطيع أحد الانتقاص من قدره، أو التقليل من شأنه .

¹ ينظر: خالص ، صلاح : إشبيلية في القرن الخامس الهجري، ص 136 .

الفصل الثاني

معالم صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء و المؤرخين

المبحث الأول : في مضمون الغرض الشعريّ .

المبحث الثاني : صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية .

المبحث الثالث : صورة ملوك بني عبّاد السلبية .

المبحث الرابع : مواضع اتفاق واختلاف آراء الشعراء والمؤرخين في صورة ملوك بني عبّاد .

الفصل الثاني

معالم صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء و المؤرخين

المبحث الأول: في مضمون الغرض الشعري

أولاً : غرضي المديح و الرثاء :

لا يخفى على الباحثين في الأدب الأندلسي ما أبداه ملوك بني عبّاد من اهتمام بالشعر والأدب، وإيثار لنوابغ الشعراء والأدباء ، وما أسبغوه عليهم من العطايا والهبات، فانطلق الشعراء يفيضون عليهم بمدائح أبقت ذكرهم، وخلدت آثارهم .
وقد حفلت مجالس سمرهم وأنسهم بألوان المتع واللذائذ التي تذكي قرائح الشعراء، وتشحذ أفئدتهم بالمشاعر والأحاسيس الدافئة؛ إذ كانت الخمر راعية الحفل الأول، وجدوا فيها ملاذهم للنزوع من واقع سياسي واجتماعي مضطرب، فانغمسوا في لهوهم وأترفوا بكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب في جوّ خلاب يحفل بالرقص والغناء، وسط مدينة ذات طبيعة أسرة، وليس أدلّ على ذلك من قول المعتمد:

{ الكامل }

والليلُ قد مدَّ الظَّلامَ رداءً	ولقد شربتُ الرّاحَ يسطعُ نورُها
ملكاً تنّاهى بهجةً وبهاءً	حتّى تبدّى البدرُ في جوزائه
جعلَ المظلّةَ فوقه الجوزاءَ	لمّا أرادَ تنزّهاً في غربه
لألأوها، فاستكملَ الألاءَ	وتناهضت زُهر النُّجوم يحفُّه
رفعت تُريّاها عليه لواءَ	وترى الكواكبَ كالمواكبِ حولَه
وكواعبٍ، جمعت سنّاً وسنّاً ¹	وحكيّته في الأرض بين مواكبِ

إذ يصف نفسه وحاشيته بالقمر المضيء، تحيط به النجوم والكواكب من كل جانب ، في مشهد ساحر يُلخص ما يعيشه الملك وشعراؤه وأصدقائه في مثل هذه المجالس، وما يجدونه من

¹ ابن عبّاد ، المعتمد : الديوان ، تح ، أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1951 م ،

راحة نفسية وشعور عارم باللذة والمتعة، فلا ريب إذن أن تفيض قرائح الشعراء، وأن تلمع أذهانهم، بأبدع الكلمات وأعذب الألفاظ، وأجمل الصور التي يحكيونها من نور قلوبهم، وخالص مشاعرهم . فجاءت ألفاظهم عذبة رقيقة، تزخر بالمشاعر الجياشة، فهذا ابن اللبانة، شاعر المعتمد، وصديقه الأول، يعبر عن دفاء مشاعره وصدقها فيقول:

{الكامل}

مَنْ كَانَ يَنْفِقُ مِنْ سِوَاكِ كِتَابِهِ فَأَنَا الَّذِي مِنْ نُورِ قَلْبِي أَنْفِقُ¹

لقد وجدت الأسرة العبادية ضالتها في قرائح الشعراء الذين اصطفتهم وقربتهم إليها، فلمعت أسماؤهم في فنائها وتلاّأت، فتراهم تارة مشيدين بقوة هذه الدولة وجبروتها، وتارة متغنين بمآثرها وحروبها، وتارة أخرى منحازين تحت عطفها وحنانها، متمثلين قيم التسامح والعمو فيها . ولذلك فإن أبرز ما يميز قصيدة المديح في عصر الطوائف ارتباطها الوثيق بالواقع السياسي والاجتماعي، إذ انطلق الشعراء الأندلسيون " يبتنون أفكارهم ورؤاهم في مدائحهم، راسمين مثالية الحاكم (الممدوح) اجتماعياً وسياسياً ودينياً " ² .

ومن خلال قراءة قصائد المديح وتحليلها والوقوف على أهم محاورها يلحظ القارئ أن الصفات التي خلعتها الشعراء على بني عبّاد جاءت ذات أبعاد سياسية واجتماعية ودينية وشخصية ولعل هذا ديدن أيّة قصيدة مديح سواء في المشرق أم في المغرب ؛ ولا سيّما إن كان الممدوح ملكاً، أو صاحب سيادة أو سلطة، فتتداخل في مديحه قيم مختلفة تستمد من الواقع أَرْضِيَّتْهَا وَثَبَاتَهَا، وَمِنْ رُوحِ الشَّاعِرِ إِيدَاعَهَا وَتَأَلَّفَهَا، وَمِنْ شَخْصِيَّةِ المَمْدُوحِ مَادَّتْهَا وَثَرَاءَهَا .

ولا بدّ للباحث أن يقف، في شعر العهد العبادي على أسباب ساهمت في إنكفاء وقوده، وازدياد نبوغه، فإذا كانت فترة حكم القاضي محمد بن إسماعيل ، قد اتصفت بقلّة الأشعار، وقلّة الأخبار التي وصفت المرحلة التأسيسية من حياة الدولة العبادية؛ لعوامل يمكن إجمالها في انشغال القاضي ابن عبّاد في إرساء قواعد دولته، وتثبيت جذورها، إضافةً إلى ما حفلت به تلك

¹ الداني، ابن اللبانة : الديوان، تج ، محمد مجيد السعيد، ط1، دار الراجعية للنشر والتوزيع ، عمان- الأردن ، 2008م ، ص 11 .

² نجا، أشرف محمود : قصيدة المديح في الأندلس ، قضاياها الموضوعية والفنية (عصر الطوائف) ، ط1، دار الوفاء ، الإسكندرية، 2003م ، ص 23 .

الفترة من فتنٍ ونزاعات، أُلقت بظُلها على الشعراء، وأدت إلى انحسار غيْثهم الشعري¹، فإنَّ فترة حكم المعتضد وولده المعتمد قد شهدت ازدهاراً للشعر، وتعدداً في موضوعاته، وأغراضه، ولا سيَّما أنَّ كلا الملكين كان شاعراً نابغاً، وأنَّ عدداً من الشعراء قد وفدوا على أعتاب بلاطهم، ونشدوا بسطّتهم، وكرمهم، والتمسوا التقيُّؤ في ظلِّ عرشهم .

فمدح الشعراء ملوكهم بصفات "الجود، والشجاعة، والفروسية، والجمال، والشعر، والخطابة، والشدة، والطعن، والضرب، والرماية"²، إضافة إلى صفاتٍ أخرى قصدوا من ورائها ببعض الأحيان، التَّكسب ؛ للحصول على العطايا والهبات ، وليس ذلك فحسب؛ فقد استغاث الشعراء ببني عبّاد لنصرة الدِّين والمدافعة عن الحقِّ، ودحر العدو، وحثّوهم على جمع المسلمين تحت لواء الجهاد في سبيل الله لنبذ الفرقة ولمّ الشعث³ .

وأياً كانت أهداف الشعراء في وصف ممدوحهم، فإنَّهم على اختلاف نواياهم، قد رسموا صورةً متألِّفةً ، سطرَّت أمجاد بني عبّاد، وجعلت عهدهم مثلاً للتفرد، والتَّميِّز .

أمَّا قصيدة الرثاء فقد وقفت على ذكر مناقب ملوك بني عبّاد، والتفجع لفقدهم، وزوال دولتهم، وبكاء ما حفل به زمنهم من مسرّات ولذائذ،" وما الرثاء إلَّا شكلاً من أشكال المديح إلَّا أنه تعداد لمآثر الفقيد، وندب لمحاسنه، وسبيله أن يكون ظاهره التفجع، مخلوطاً بالتلطف والاستعظام إن كان الميت ملكاً أو رئيساً"⁴.

لذا أثارَت نكبة بني عبّاد من الشعر ما لم تثره نكبةٌ أخرى، شهدها العرب المسلمون في الأندلس قبلهم، وتركت من الشعر الحزين ما يحمل كل معاني الغصص والبؤس⁵ .

¹ ينظر: حميدي، خميسي : الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بني عبّاد، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ، 1983_1984، ص 109 .

² ابن الأثير، الحلة السيرة ، ق 1، ص155.

³ ينظر: حميدي، خميس: الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بني عبّاد ، ص 133_134 .

⁴ ينظر: القيرواني، أبا الحسن بن رشيق : العمدة في محاسن الشعر ونظمه ، تج ، محمد محيي الدين عبد الجليل ، ط 4، دار الجليل، بيروت _ لبنان، 1972 م ، ص 147 .

⁵ ينظر: عباس، إحسان : عصر ملوك الطوائف والمرابطين ، ص 151 .

ثانياً : واقع الهجاء في عصر الطوائف :

تعرّض الهجاء في الحقبة الأندلسية إلى " مِحْنَةٍ " حقيقية، فقد حوَصِر من خلالها بأغلال الكبت والقمع، وبات أسيراً لسياسة تكميم الأفواه التي أتبعتها السلطة الحاكمة في ذلك العهد، فكان صوته خافتاً وجلاً، بل يكاد يختفي في كثير من الأحيان¹ .

وقد وقف عدد من الباحثين على عوامل أخرى كانت سبباً في ضياع الهجاء الأندلسي، وتبعثر أجزائه، وتناثر أوراقه في طي الكتمان، فإذا كانت العقوبات والويلات التي فرضها بطش الحكّام المستبدّين، وحيل الفقهاء المتشددين، قد ألجمت أصوات الشعراء بلجام التعقب، والسجن، وهدر الدماء، فإنّ للأخلاق التي شاعت عند مؤرّخي الأندلس دوراً في طمس هذا الغرض، والتقليل من شأنه، على الرغم من أهميته في إعطاء صورة واضحة عن الأوضاع السياسية، والاجتماعية السائدة² .

وتذكر بعض المصادر أنّ أبرز نقاد الأندلس ومؤرّخيها، نفرّوا من الهجاء، وترفّعوا عن ذكره وذكر شعرائه في مؤلّفاتهم، انطلاقاً من مبدأ تجنّب الفحش والبذاءة، والابتعاد عن كلّ ما يسيء إلى الأخلاق النبيلة التي اتسموا بها، إضافةً إلى أنّ بعض الشعراء عمدوا إلى تطهير دواوينهم من هذا الغرض، وتبرّؤوا منه؛ لنزعات إيمانية زهدية اعترضتهم في أواخر حياتهم³ .

ويلقي بعض الباحثين مسؤولية ضياع جزءٍ غير قليل من أشعار الهجاء في العصر الأندلسي على كاهل ابن بسّام، أكبر مؤرّخي ذلك العصر، وأكثرهم حضوراً في المؤلّفات الأدبية والتاريخية التي عرضت له. دون أن يغفلوا ما كان لأصحاب التراجم الأدبية ممن استكفوا عن جمع الهجاء وروايته، و عزموا على إسقاطه من مدوناتهم، من درورٍ بارزٍ في ضياع ذاك الفنّ وتلفه⁴ .

¹ ينظر: البرقاوي، بسّام: محنة الهجاء والهجانين في الأدب الأندلسي، حوليات الجامعة التونسية، 2004 م، ع 49، ص 297_303 .

² ينظر: المرجع السابق، ص 300 – 302 . و العاني، محمد شهاب : الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف، ط1، دار دجلة، عمان – الأردن، 2011 م، ص 149 .

³ ينظر: السنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1 م1، ص 414، وينظر: عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، ص 139 .

⁴ ينظر: عتيق، عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص 244 .

فلم يضعف الهجاء في العصر الأندلسي، وإنما ضيّقت حدود فضائه، ومما لا ريب فيه أنّ ما أصابه من محاولات الطمس والتذويب كان متبايناً من مرحلة إلى أخرى، ومن عصر إلى آخر .

ولا بدّ أن يلحظ المتأمل لشعر الهجاء في عصر الطوائف، وقوف هذا الغرض على ما أصاب الأندلس من اضطراب واختلال في الأحوال السياسيّة، ووصفه بتنازع أولي الأمر، وانصرافهم عن رعيتهم إلى لذاتهم الشخصية، و نزواتهم، فهو نوعٌ من الشعر اتّسم بالجرأة السياسيّة، والنقد اللاذع، والوقوف بوجه أعداء الأندلس في الدّاخل والخارج، فوقف الشعر السياسيّ في عصر الطوائف على موضوعات ذات صلة بالواقع الأندلسي في تلك الحقبة¹، وقد طال الهجاء رؤوس الدّولة فلم يسلم منه أحد² .

على أنّ الهجاء الذي وصل من شعر الإشبيليين قد غلب عليه طابع المقطوعات من بيتين أو ثلاثة، وهو في ظاهره لئّن، لكنّه في مضمونه جارحٌ وحاد³ .
وقد هجا الشعراء بني عبّاد على الرّغم مما أثار عنهم من تشجيع للأدب، وتفضيل الأدباء، وتقريبهم، وإمدادهم وإغراقهم بالعطايا، ولا ريب في ذلك؛ فدوافع الهجاء كثيرة، منها ما يتعلّق بالسياسة والعصبية للدّين، ومصلحة الدّولة الإسلاميّة، ومنها ما يصبّ في بوتقة المصالح الشخصيّة التي تخصّ الشّاعر، وتوافق هواه⁴؛ فللشاعر رؤية فنيّة ترتبط بعبقريته، وبيئته، وثقافته، ونواياه التي تدفعه إلى قول الهجاء بصدقه وكذبه⁵.

¹ ينظر: العاني، محمد شهاب : الشعر السياسي الأندلسي في شعر الطوائف ، ص 79 .

² ينظر: عيسى، فوزي سعد: الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف ، ص 47 .

³ السعيد، محمد مجيد : الشعر في ظل بني عبّاد، ط1، مطبعة النعمان، النجف، 1972م ، ص 196.

⁴ ينظر: عيسى ، فوزي سعد : الهجاء في الأدب الأندلسي ، ص 47 .

⁵ ينظر: عبد الله ، نافع : الهجاء في الشعر العربي الأندلسي، ص 20 .

المبحث الثاني: صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية

اجتمعت في ملوك بني عبّاد قيم وصفات جعلتهم يظفرون بالنصيب الأوفر من المدح؛ إذ تراحم الشعراء على أعتاب بلاطهم متغنين بأمجادهم، مفاخرين بآثارهم وأخلاقهم، معلين من شأنهم، يخلعون عليهم أمثل الصفات، ويباهون غيرهم من الممالك بهم .
ويقف هذا المبحث على أبرز الصّور التي نقشها الشعراء لبني عبّاد، وأفاضوا في ترصيعها وتدبيجها، وقد عُرِّزَتْ ، بأقوال أهمّ المؤرخين ممن عوّل عليهم نقل الأحداث التاريخية، وتحري الصدق فيها :

أولاً : صورة الملك الكريم الجواد :

طفق الشعراء الأندلسيون يخلعون على بني عبّاد صفات الكرم والجود، ولم يشذوا في هذا عن شعراء المشرق؛ ذاك أنّ فضيلة الكرم من أكثر الفضائل إظهاراً لقوّة الممدوح وسيادته¹، إذ تتجلّى فيها هيئته وسطوته، وقدرته على العطاء بلا حدود، فيغدو بحراً لا يجفّ مداده، وغماماً لا ينقطع غيئه، فيروي العطاشى، ويظلل المحتاجين بما يسبغه عليهم من منح وهبات، وهذا ما سعى الشعراء إلى إظهاره في قصائدهم، ولا سيّما أنّ جلّ من قدم إلى بلاط ملوك بني عبّاد من الشعراء واصفاً كرمهم ، حظي بعباياهم ، واستقى من معينهم . يقول (ابن زيدون) واصفاً المعتضد:

{المنسرح }

كالشَّرابِ العَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدي
نصَّت الدُّنيا بِهِ نصَّ الهادي
مثلما عرَّتْهُ بدر النَّدي
كفرنْدِ عادِ فِي سَيْفِ صَدي³

كم لريحِ الغربِ من عَرَفٍ² نَدي
حيثُ "عبّاد" فتى المجدِ الذي
مليكُ راحتهُ بحرُ النَّدي
أصبحتُ دولتهُ في عصرنا

¹نجا، أشرف محمود: قصيدة المديح في الأندلس ، ص33.

² العرف : الرائحة الطيبة .

³ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 501 .

حيث يعيد الشاعر سبب ازدهار دولة بني عبّاد إلى كرم المعتضد الذي ساقها إلى المجد، فأضحت متأقّة كالسيف اللامع .

وقد جمع (النحلي) في وصف القاضي بن عبّاد بين مجده التّليد، وجماله الحسيّ، وجوده الخُلقي، فعبر بكلمات رشيقة عن توالي نعمائه، ومداد آلائه، واصفاً إيّاه بالبحر الزّاهر، والبدر السّاطع ، فيقول:

{الكامل}

مَلِكٌ تَضَاءَلَتِ الْمُلُوكُ لِقَدْرِهِ وَعَنَاءَ لَهُ صَرَفُ الزَّمَانِ الْجَائِرِ
وَإِذَا لَمَحْتَ جَبِينَهُ وَيَمِينَهُ أَبْصَرْتَ بَدْرًا فَوْقَ بَحْرِ زَاخِرِ¹

ولصورة " البحر " حضور في وصف عطاء المعتمد، حيث يُرجع (ابن حمديس) هذا العطاء إلى أصل الملك ، وطبعه الرّقيق الذي اكتسبه من أجداده ، يقول :

{ المنسرح }

لَا تَلْمُهُ فِي عَطَايَاهُ الَّتِي إِنَّ تَرْمُ مِنْهُنَّ نَقْصًا تَزْدَدِ
فَنَدَاهُ الْبَحْرُ، وَالْبَحْرُ مَتَى تَعْصَفُ الرِّيحُ عَلَيْهِ يُزِيدُ
وَمَحَالٌ نَقْلُكَ الطَّبْعَ الَّذِي كَانَ مِنْهُ فِي كَرِيمِ الْمَوْلِدِ²

وقد أجاد الشاعر في البيتين الأول والثاني بتشبيهه عطاء الملك " بالبحر " ، فندى الملك وكرمه ، كالبحر متى تعصف الريح عليه يُزِيدِ ، أي أنه يزداد في العطاء دون انقطاع أمام طلابه وقاصديه ؛ وهدف الشاعر في هذا التشبيه بيان تناهي جود الملك، ولا محدودية كرمه ، مما يجعل الشاعر عاجزاً عن الثناء والشكر .

وفي صورة أخرى يرى ابن اللبّانة أنّ عطاء ممدوحه يأتي عن قوّة وبأس، لا عن ضعفٍ ووهن " كلّج البحر " التي تغني وتفزع في آنٍ معاً، و" كالحسام " الذي أشدّ ما يكون

¹ التلمساني، المقري : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3، ص234.

² ابن حمديس، الديوان ، ص141 .

قاطعاً في حال لينه ورقته، و" كالسحاب " الذي يعرف أوقات انهماره وانحباسه، فينهمر في مكان، ويقلع في آخر، وفي هذا إشارة إلى دراية المعتمد وبعد نظره، وتقديره الجيد للأمور والأشخاص، فلا يحوز عطاءه إلا من يستحقه، ولا ينعم بخيره إلا من يكون أهلاً له، يقول:

{ الكامل }

يندى عليك وأنت منه مَخَوَّفٌ وكذلك لُجُّ البحرِ مُغْنِ مُفْرَعٌ
فأشدَّ ما تلقاه عند لِيَانِهِ وكذا الأرقُّ من الحسامِ الأَفْطَعُ
أنت السَّحابِ على مكانٍ ينهمي بالمكرماتِ وعن مكانٍ يقلع¹

وإذا كان الشعراء اتخذوا من البحر رمزاً يدلّون به على واسع عطاء الملك ، وغمر نواله، فقد ذهب (أبو بكر بن المُلح) وهو من أهم شعراء المعتمد بن عبّاد ، إلى أبعد من هذا ، إذ وصف عطاء المعتمد " بالمحيط " الذي أحاط بجوده وكرمه الدنيا بأسرها وعمّت آلاؤه البريّة أجمع، فيقول:

{ البسيط }

أحاط جودك بالدنيا فليس له إلّا المحيطُ مثالٌ حين يُعْتَبَرُ²

وفي صورة أخرى يظهر الممدوح " كالغيم الهطول " و" السحاب السكوب " إذ يصوّر (ابن عمّار) راحتي المعتضد " بالغمام الممطر" فيقول:

{ الكامل }

وعلمتُ حقّاً أنّ رِيْعِي مُخْصِبٌ لمّا سألتُ به الغمامَ المُمْطِراً
وجّهتُ معنى الجودِ حتّى زُرْتُه فرأيتُهُ في راحتيهِ مُفَسِّراً³

¹ ابن اللبّانة، الديوان، ص 89 _ 90 .

² المصدر السابق ، ص 505 .

³ التلمساني، المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1 ، ص 656 _ 655.

وتلتقي أبيات (ابن عمّار) مع أبيات (ابن زيدون) إذ يصوّر كرم المعتضد " بماء المزن " الذي يفيض بسخاء، فيضاهي ما يناله الشاعر من العطايا والهبات النجوم بمكانتها، ورفعها، يقول:

{ الكامل }

كَرَمٌ كَمَاءِ الْمُزْنِ رَاقٍ خِلَالَهُ أَدَبٌ كَرُوضِ الْحَزْنِ أَبَاتٌ يُجَادُ
لَمَّا وَرَدَتْ بِوَرْدِ حَضْرَتِكَ الْمَنَى فَهَقَّتْ لَدَيْ جِمَامِهَا الْأَعْدَادُ
فَلَنْ فَخَرْتُ بِمَا بَلَغْتُ لَقَلَّ لِي أَلَا يَكُونُ مِنَ النُّجُومِ عَتَادُ⁵

وعطاء المعتضد أيضاً " كوابل المطر " ، وهو " المطر الشديد الضخم " ⁶، يقول (ابن حمديس) :

{ الطويل }

فَأَنْدَى بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ مُحَمَّدٌ وَهَلْ طُلُّ مَعْرُوفِ السَّمَاءِ كَوَابِلُهُ⁷

وقوله:

{ الطويل }

تَرَى النَّاسَ يَسْتَصْحُونَ مِنْ جُودِ كَفِّهِ إِذَا الْوَيْلُ مِنْهُ انْهَلَّ وَاتَّبَعَ الْوَيْلُ⁸

أي أنّ الملك أندى وأكرم ملوك بني عبّاد، فإن كان ندام " كالطلّ " ، وهو " المطر الصغير الدائم " ⁹ ، فندى المعتضد كالوابل يفيض عليهم بغزارة .

كما لم يكن وصف الشعراء كرم ممدوحهم بالمطر أو مسمياته أو أشكاله، وصفاً اعتبارياً ذلك أن الإنسان أشد ما يكون بحاجة للمطر في حالة القحط والجذب، كالأرض العطشى

¹ روض الحزن : الرياض المرتفعة عن الأرض .

² فهق الإناء : امتلأ .

³ الجمام : المياه الغزيرة .

⁴ جمع عد وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع .

⁵ ابن زيدون، ديوانه ورسائله ، ص 513 _ 514 .

⁶ ابن منظور ، جمال الدين محمد : لسان العرب ، مادة " وبل " ، دار صادر ، بيروت ، ج 11 ، ص 720 .

⁷ ابن حمديس، الديوان ، ص 371.

⁸المصدر السابق ، ص 377.

⁹ ابن منظور ، جمال الدين محمد : لسان العرب ، مادة " ظلل " ، ج 11 ، ص 405 .

تماماً، فإن كانت الأرض تُروى بالمطر، فإن الشاعر يستقي من هبات الملك ما يجعله يعيش حياة كريمة يأمن فيها الشح والجفاف¹.

وقد صرّح (ابن حيان) بهذا المعنى وذهب مذهب الشعراء في تشبيه فيض ملوكهم بالسحاب المنهمر ، بقوله في وصف المعتضد بن عبّاد كان له " جود كفّ بارى بها السحاب"². وفي صورة أخرى ، صوّر (ابن حمديس) عطاء المعتمد وجوده " بالحديقة الغنّاء " التي تفوح أزهارها برائحة المسك، فكرم الملك يتناثر مع هبّات الهواء الطلق، وفي هذا دلالة على كثرة جوده، وسعة كرمه الذي يناله القاضي والداني، فعطاؤه صوباً يترك أثراً في الأرض أشدّ وأبلغ من المطر نفسه ، فيقول:

{ الطويل }

وفي كل أرضٍ من نداء حديقةً تَضَوِّعَ مِسْكَاً نَوْرُهَا وتَفْتَحَا
عطاؤك يَغْفُو المحلَّ صَوْباً فَعَيْنُهُ تَخْطُ عَلَى آثَارِهِ كُلَّ مَا مَحَا³

كما وصف (ابن زيدون) عطاء المعتضد " بالنبيذ المعتق " الذي ينعش شاربه، فتدبّ به آيات اللذة السرور ليبلغ حدّ الاكتفاء، فقد ثمل الشاعر من سخاء الملك وجميل صنعه، ففاض قلمه بمدحه، ووصف ندى يُمنّاه، يقول:

{ الوافر }

فها أنا قد ثَمَلْتُ مِنَ الأيادي إِذَا اتَّصَلَ اغْتَبَاقِي⁴ فِي اصْطِبَاحِي
فإنَّ أعْجَزَ فإنَّ النُّصْحَ ثَقْفٌ وَإِنْ أَسْكَرَ فإنَّ الشُّكْرَ صَاحٌ⁵

ويصوّر (الفقيه القاضي ابو الوليد الباجي) الملك في بذله وأريحيته بالسّلطان الذي غدت البريّة في أمر جوده وسخائه " كالعبيد " يتضرعون ببابه، يسألون هباته وصلاته، فيقول:

¹ حميدي، خميس: الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بني عبّاد، ص 110_ 111 .

² المراكشي، ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 3 ، ص 207

³ ابن حمديس: الديوان ، ص 110 .

⁴ الاغتباق : شرب الخمر في المساء .

⁵ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 492_ 493 .

{المتقارب }

عَبَّادٌ اسْتَعْبَدَ الْبِرَّايَا بَأْنَعْمُ تَبَأُغُ النَّعْمَائِ
مَدِيحُهُ خِيَمٌ كُلُّ نَفْسٍ حَتَّى تَغَنَّتْ بِهِ الْحَمَائِ¹

وفي هذا إشارة إلى وظيفة القصيدة المدحية التي كانت منذ الجاهلية أداةً للكسب والارتزاق؛ إذ يسخر الشاعر مواهبه وصلاته الفنية في سبيل المال، ويسلك في ذلك مسلكين، فإمّا أن يلمح إلى مطلبه، وإمّا يصرح به، وقد زخر الشعر العربي بأمثلة كثيرة لشعراء غدت القصيدة لديهم سبيلًا للعيش²، فيقول (حسان بن المصيصي) في وصف كرم المعتضد:

{المتقارب }

ولولا أيديك خابت يدي ولم يور من زند فكري اقتداح
لك الفضل أن طاب شكري ونشري بطيب الرياض تفوح الرياح³

إذ ربط الشاعر قدرته الإبداعية بكرم الملك وسخائه، فيمتنع فكره عن الإلماع والتوقد إن لم تسعفه أيادي المعتضد، وسبط أنامله .

ومن أهم أقوال المؤرخين التي تصف كرم بني عباد ما ذهب إليه (ابن الأبار) في وصف القاضي أبي القاسم بقوله: " كان أيسر من بالأندلس وقته، ينفق من ماله وغلاته " ⁴، كما عدّ المعتمد أيضاً من " الأجواد الأسخياء " ⁵.

ومن جملة صفات أوردها (ابن خاقان) في وصف المعتمد قوله " ملكٌ قمع العدى، وجمع البأس والندى، وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل كفه، ولا بنانه " ⁶

¹ الشنتريني، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2م 1، ص 100 .

² ينظر: مناعي، مبروك: الشعر والمال، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 400 .

³ الشنتريني، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2م 1، ص 445 .

⁴ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 2، ص 36 .

⁵ المصدر السابق، ج 2، ص 54 .

⁶ ابن خاقان، الفتح: قلاند العقيان، ص 4 .

وبهذا يُلاحظ القارئ توافق آراء المؤرخين والشعراء في كرم بني عباد، فهم أسرة عُهد لها بصفات الجود والكرم، وفي قصة المعتمد، مع الشاعر (الحصري) دليلٌ بيّن، فعلى الرغم من ضيق يد المعتمد أبان أسرته إلا أنه لم يتوانَ عن إمداد الشاعر بالمال اللازم¹ .

وبالوقوف على بعض قصائد الرثاء يجد الباحث حضوراً لشعراء تعلقت قلوبهم بالدولة العبادية؛ فحوى شعرهم معاني الحرقه والألم، ولا سيما من تمتعوا بعطاياها، وانضوا تحت لوائها، وها هو يرثي (ابن اللبانة) الدولة العبادية، ويصور رحيلها، وانفراط عقدها، واصفاً ما ألمّ بالمعتمد لدى رحيله إلى سجنه في أغمات، وتغيّر الحال بعد أسرته، إذ شحّ الرزق، وجفّ الزرع، وانحبس المطر، وكلّها عبارات ذات مدلول مغاير لتلك التي استخدمها في مديحهم، إذ يُلاحظ خفوت النفس الشعري، وسيطرة العاطفة الحزينة على الموقف العام، فاستخدم الشاعر أفعالاً تدلّ الانكماش والقلّة " أقفر، جفّ، خفّ " مؤكداً من خلالها انعدام أسباب الحياة وغياب عهدٍ اغترف من معينه ، يقول:

{ البسيط }

يا ضيفَ أقفر بيتُ المكرّماتِ فخذُ	في ضمّ رحلك واجمع فضلةَ الزادِ
ويا مؤمل واديهم ليسكنه	خفّ القطينُ وجفّ الزرعُ بالوادي
هي الأقدارُ لا تبقى على أحدٍ	وكلُّ نفسٍ لآمادٍ ²

ثانياً : صورة الملك القويّ الشجاع :

لعلّ أبرز ما وصف به الشعراء ملوك بني عبّاد، الشجاعة والإقدام، والثبات في ساحات الوغى، والتقدم بخطى ثابتة لا يشوبها الخوف، ولا يخالجهما التّراخي والتّراجع، فلا مكان للجبن والتّردد في قلب الملك، الذي استطاع بحزمه وقوّة شكيّمته، وحنفوانه وصرامة مواقفه، واقتحامه للأنواء والصّعاب، أن يبرهن لشعراء عصره ممن اتجهت أنظارهم إليه، ولمعت عيونهم في اقتناص صفاته، أنّه الأليق بتلك المكانة، والأجدر بدور البطولة والإقدام .

¹ ينظر: المراكشي، عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج 2، ص 205 .

² ابن اللبانة ، الديوان ، ص 57 .

وقد حشد الشعراء في رسم صورة القوة والشجاعة العناصر اللازمة لخطها وتحديدها، فتحدثوا عن القائد البطل ببسالته وقوته، ووصفوا أرض المعركة وما يجول فيها من احتدامٍ وصراع، متمثلين بأدوات القتال وفنون الحرب، ومهارات الجنود، ووقعها على الأعداء، فأنتجوا صورة كاملة الملامح، مستمدة من واقعٍ سياسي مضطرب عاشه عصر الطوائف بكلّ فئاته وطبقاته، ومن الحروب والنزاعات التي خاضها ملوك بني عبّاد في صراعمهم الداخليّ والخارجي.

فهاهو (أبو الإصبع بن عبد العزيز) يجمع في وصف القاضي أبي القاسم بين سماحة خلقه، ورباطة جأشه ، إذ أعارت الأسود قلبها للملك الذي أحال بسطوته النور إلى ظلامٍ دامسٍ ليدلّ على عظم قوّته، وصرامة مواقفه، فيقول:

{الكامل}

مَلِكٌ قُلُوبِ الْأَسَدِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ وَبِوَجْهِهِ قَمَرٌ مِنَ الْأَقْمَارِ
فَإِذَا سَطَا فَالضُّبْحُ دَاجٍ مُظْلِمٌ وَإِذَا عَفَا فَاللَّيْلُ فِي إِسْفَارٍ¹

وفي المعنى ذاته يقول (ابن اللبانة) في وصف بسالة المعتمد بن عبّاد :

{الكامل}

يَلْقَى الْكُمَاةَ فَتَنْتَنِي مَذْعُورَةً فَكَأَنَّهُ أُسْدٌ يَمُرُّ عَلَى ظَبْيِ
وَالسَّابِرِيَّ مَضْعَفًا وَالسَّمْهَرِيَّ² مَثَقَّفًا وَالْمَشْرِفِيَّ³ مُشْطَبًا
وَالْجَيْشَ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ مُؤَيَّدًا وَالْخَيْلَ فِي وَهَجِ الْكَرْيَهَةِ شُوبًا⁴

فقد صورّ (ابن اللبانة) المعتمد " بأسدٍ هصور " يمرّ على أعدائه فتنتني مذعورة خائفة كالظباء، فجيّشه مؤيد، وخيوله لزمّت الحروب وأدمنتها، ولذا هي متأهبة تستمدّ قوتها من روح

¹ الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد : البديع في وصف الربيع ، تح ، عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1987م ، ص109.

²الرمح الصلب العود ، وقناة سمهرية هي صلبة ، وينسب هذا الرمح إلى رجل اسمه (سمهر) كان يقوم الرماح .
النوايسة ، نايف : معجم أسماء الأدوات واللوازم في التراث العربي ، ط 1 ، وزارة الثقافة ، عمان ، 2000 م ، ص 324 .

³ السيوف المنسوبة إلى قرى أرض اليمن تسمى مشارف ، المصدر السابق ، ص 313 .

⁴ ابن اللبانة : الديوان ، ص 24_ 25 .

القائد وإرادته، و حشد الشاعر في تعزيز هذه الصّورة بعض أدوات القتال وأنواعها، مؤكداً جاهزيتها للنزال، بالتضعيف والتثقف والتشطّيب ، وهي أساليبٌ تتخذ لتقويم الرماح والسيوف .
وقد استخدم الشعراء " الأسد " بأسمائه وصفاته معادلاً موضوعياً للقائد البطل، ووجدوا فيه ضالّتهم، فأفرغوا أفكارهم وآراءهم من خلاله، وأودعوه معاني تستوعبها قدرة هذا الحيوان المفترس الذي ضاهت بطولة الملك قدراته وأفعاله، فغدا مساوياً له في البأس والجسارة، وقد عُهد الشعراء ينزحون إلى كلّ ما يجوب حولهم؛ للتعبير عما يجول في أذهانهم، ويتلاءم مع شاعرية الموقف، وحتمية المشهد، ولم يختلف شعراء الأندلس عن غيرهم ممن سخروا الطبيعة وما تحتويه للتعبير عن ذواتهم الخالقة .

وإن وصف الشعراء بني عبّاد بالأسود والضراغم، فقد جعل " ابن الأثير " ¹ هذا الوصف صفةً للأعداء ؛ ليغلّب بذلك قدرة الملك على قدرة هذا الرمز، ويجعله يستحقّ وصفاً أقوى وأشدّ، ومراد الشاعر في ذلك تعظيم شأن الملك، وإخراجه عن دائرة المألوف، وفتح الباب أمام المتلقي لإيجاد صفاتٍ أكثر جرأة وبأساً، يقول:

{ الكامل }

إِنْ كَانَتْ الْأَسْدُ الضَّوَارِي لَا تَخَا فُ صِيَالَهُ فَلِمَ اتَّخَذْنَ الْغِيَا
وَإِنْ كَانَتْ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ لَمْ تَهْمُ فِي حَبِّهِ فَلِمَ اِكْتَسَيْنَ نُحُولًا²

أظهر الشاعر في الأبيات السابقة ، سطوة الملك وجبروته في صورة غزلية توحى بشدة الارتباط بين الملك وسيفه ، فصور في مشهدٍ غرامي علاقة المعتضد وسيوفه في ساحات الوغى؛ إذ ذابت السيوف في حبّ الملك، وأرهقها الوله، حتى أصابها النحول والهزال ، وقد أبدع الشاعر في هذه الصورة إذ استطاع تحويل حيثيات المشهد بما يحويه من قسوة وبأس ، إلى صورة غزلية رقيقة تفصح عن تمكّن الشاعر وقدرته .

¹ ابن الأثير : هو أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي من شعراء المعتضد ، وهو غير ابن الأثير المؤرخ " محمد بن عبد الله " ينظر : الزركلي، خير الدين : الأعلام ، م 1 ، ص 213 .

² الشنتريني، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1 ، ص 157 _ 158 .

وفي وصف آخر صورّ (ابن زيدون) المعتضد " بالسيف القاطع الباتر" ، فبحزمه وفتكه يستطيع أن يرد كيد أعدائه دون أن يحتاج إلى أيّة أداة، يقول:

{ الطويل }

ولم نر سَيْفًا بِاتِكَ الْحَدَّ قَبْلَهُ تناولَ سَيْفًا دُونَهُ فَتَقَلَّدًا¹

و في موضع آخر صورّه ، " كالجحيم " للمتمردين عليه، و" كالجنة " لأنصاره و حاملي مجده يقول:

{ الطويل }

جَحِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ وَجَنَّةٌ عَدْنٌ لِلْمَطِيعِينَ تَزَلْفُ²

ويستطرد (ابن زيدون) في وصف بسالة المعتضد ورباطة جأشه، فهو ملكٌ صفاته أكثر من أن تعدّ وتحصى، متفوق على من ضُرب بهم المثل في الشيم الأصيلية ، فلا يحاكيه أحدٌ في شمائله، ويستدلُّ الشاعر على ذلك بأسماء لامعة في سمات الجود والبأس، كـ " عمرو بن معد يكرب" ³ المعروف بفروسيته، و" كعب بن مامة" ⁴ الموصوف بأريحيته، و" المغيرة بن شعبة" ⁵ الذي اشتهر بدهائه، إلّا أنّ الملك يعلو على هذه الأسماء فلا نظير له، ولا قرين .

و يظهر الأعداء في هذه الصورة خائفين من المعتضد، لا يأمنون جانبه؛ لقوّة حيلته، وألمعيته، على الرغم من قوتهم ودهائهم، حتّى بلغ الأمر بهم مبلغ اليأس من المعتضد وجيشه الذي استطاع بقوته ردّهم خائبين، فلا يقدرّون على مجاراته أو اقتناص فرصة لهزيمته. يقول:

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، ص 523 .

²المصدر السابق ، ص 532 .

³ عمرو بن معد يكرب بن ربيعة الزبيدي فارس اليمن ، من بني زبيد ، كان عصي النفس ، فيه قسوة الجاهلية ، وأخبار شجاعته مشهورة ، ينظر : خير الدين ، الزركلي : الأعلام ، م 5 ، ص 86 .

⁴ كعب بن مامة بن ثعلبة الإيادي ، كريم ، يضرب به المثل في حسن الجوار ، فيقال أجود من كعب بن مامة ، ينظر : المصدر السابق ، م 5 ، ص 229 .

⁵ المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي أحد دهاة العرب وقادتهم ووالاتهم ، شهد عدة غزوات زمن الصحابة ، ينظر : المصدر السابق ، م 7 ، ص 277 .

{ الكامل }

فتقاصرت عن بعضها الأعداء
عن وصف "كعب" بالسماح إياد
لغنا "المغيرة" أو أقر "زياد"
إن الغيوب وراءها إمداد
قد أمطيت عقبانة الآساد
بردت عليه منهم الأكباد
فكأنما عضت به الأقياد
مازال منه لعينها إرماد
معه ففي زمم الصوارم زاد¹

ملك إذا فتنت صفات جلاله
نسيت زبيد "عمرها" بل أعرضت
فضح الدهاة فلو تقدم عهد
لا يأمن الأعداء رجم ظنونه
ملك إذا ما اختال غرة فيلق
نفع العداة اليأس منك، لأنه
ينصاع من جارك مقبوض الخطا
تشكو إليه الشمس نفع كتيبة
جيش إذا ما الأفق سافر طيره

و في ظل هذه الحروب الضارية التي يخوضها المعتضد وجنوده ، لا تجد الشمس سبيلاً، إلا التضرع والشكوى فغبار معاركه أرمد عينيها ، فيما تستبشر الطير بجثث أعدائه التي ستغنمها بعد انتهاء المعركة ؛ فتتخذها زاداً تقنات به في أيامها، وقد أفلح الشاعر بهاتين الصورتين في تلخيص ضراوة المحاربين وشدة المعارك التي يخوضونها، وقد تكررت هذه الصورة عند (ابن حمديس) أيضاً بقوله :

{ الطويل }

عدت خلفه وحش العراء عواسلا
ومن فوقه طير الهوائ حوائما²

وقد سبق هؤلاء الشعراء إلى هذه الصور شعراء المشرق العربي كالنابغة الذبياني³

¹ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 509 _ 513 .

² ابن حمديس : الديوان ، ص 425 .

³ قول النابغة الذبياني :

{ الطويل }

إذا ماغزوا بالجيش ، حلق فوقهم
عصائب طير، تهدي بعصائب

الذبياني ، النابغة : الديوان ، شرح وتعليق : حنا نصر حني ، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان ، 2004م ، ص 31

وبشار بن برد¹ ، وهذا دليل على تأثر شعراء المغرب بشعراء المشرق ، وإطلاعهم على إنتاجهم الشعري ، وإعجابهم به ، وبلغ ولع الأندلسيين بأدباء وشعراء المشرق مبلغ المقارنة والتقليد ، فأطلقت أسماء شعراء وأدباء المشرق على شعراء الأندلس : كابن زيدون الذي لُقّب " ببحثري الأندلس " ، والشاعرة حمدونة بنت زياد التي لُقبت " بخنساء المغرب " ، أما من أُطلق عليهم لقب " المتبّي " فكثير ، ولم تقتصر هذه المقارنات والتشبيهات على الشعراء والأدباء ، وإنما انتقلت إلى الساسة والملوك فقد شُبّه المعتضد " بأبي جعفر المنصور " ، وشبّه المعتضد " بالوائق بالله " من حكام المشرق العربي² ولم يكن هذا الإعجاب ليقلل من شأن الأندلسيين أو يحدّ من طموحهم في مجارة هذه الحضارة العظيمة ، بل كان حافزاً يحثّهم على التميز والتفوق ، فاستطاعوا بذلك إنشاء حضارة باهرة بشعرائها، وأدبائها، وحكامها، وعواصمها، ومدنها .

وفي موضع آخر يستأنف (ابن زيدون) الحديث عن جنود المعتضد ، فهم من قبائل تعرف بفروستها وإقدامها، يقذف بهم في الحروب دون تردد أو وجل؛ لتقته بهم وبقدراتهم، فهم أولياؤه، وأنصاره، ومبايعوه على الوفاء والإخلاص، يوجههم ابنه إسماعيل، فيغدو وإياهم كالأشبال اليافعة التي أتقنت مبادئ القتال على يد المعتضد الأسد الهمام يقول:

{ الطويل }

فِدَاءٌ لِإِسْمَاعِيلَ كُلُّ مُرَشَّحٍ	إِذَا جُشِّمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَأْدَا
يُرَاجِمُ مِنْ صِنَاهَاجَةٍ وَزِنَاتَةٍ	يُمَثِّلُ نَجُومَ الْقَدْفِ مِثْلَى وَمَوْحَدَا
هَمُّ الْأَوْلِيَاءِ الْمَانِحُوكِ صَفَاءَهُمْ	إِذَا امْتَازَ مُصْفَى الْوَدِّ مِمَّنْ تَوَدَّدَا ³

¹ وقول بشار بن برد :

{ الطويل }

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

بن برد ، بشار : الديوان ، شرحه ورتبه : مهدي محمد ناصر الدين ، ط 1 ، دار الكتب العلميّة ، بيروت _ لبنان ، 1993م ، ص 146 .

² ينظر : بيرييس ، هنري: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (ملامحه العامة موضوعاته الرئيسية وقيمه التوثيقية)

ترجمة: الطاهر مكي، ط1، دار المعارف، القاهرة 1988م ، ص 51 _ 52 .

³ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 521 _ 522 .

وفي وصف أرض المعركة، وتعداد أدوات الحرب، يقول (ابن اللبانة) :

{ الطويل }

وجردتَ دونَ الدِّينِ سيفَكَ فأنثى من النَّصرِفي حلي، من الدِّمِّ في غمد
لقد ضمَّ أمرَ الملكِ حتَّى كأنه نطاقٌ بخصرٍ أو سوارٍ على زناد¹

فيظهر المعتمد وقد ضمَّ أمور الملك، وسيج حمى دولته بخبرته العميقة، وتجاربه الجمة في ساحات القتال، وباحتوائه ومعرفته أسباب القوة ومقدمات النصر، فجرد سيفه ذاتداً عن الدين، فعاد إلى غمده ظافراً مخضباً بدم الأعداء .

كما صور (ابن حمديس) معارك المعتمد وقوة جيشه " بالشمس " التي بدت قائمة اللون لهول هذا المشهد، فقد ذهب الجيش بنورها، وأخفى غبار المعركة ملامحها، فحاكت بذلك حروب بني عبّاد قطع الجحيم الملتهبة التي تحيل كل ماحولها إلى رماد ، يقول:

{ الطويل }

أجبتَ الهدى لَمّا دعاكَ لِنَصْرِهِ وجردتَ عزمًا إذ تَقَلَّدتَ صارِمًا
بجيشٍ تثيرُ الجردُ فيه قساطلاً تريكَ بها وجَهَ الغزاةِ قاتمًا²

و يقول :

{ الوافر }

ومُعْتَرَكَ تَلَقَّى الفَنشُ فيه غريماً مهاكاً نَفْسَ الغَريمِ
ثَنَى توحيدَكَ التثليثَ منه يعَضُّ على يَدَيِ فَرعِ كَظِيمِ
غداة أتى بصلبانٍ أضلَّتْ علوجاً أبرموا كَيْدَ البَريمِ³
كأنَّهُم شياطينٌ ولكن رميتُهُم بِمَحْرِقَةِ النجومِ
وقد ضرمتَ نارَ الحربِ حتى حكَّتْ زفرائُها قِطعَ الجحيمِ⁴

¹ ابن اللبانة : الديوان ، ص 51 .

² ابن حمديس: الديوان ، ص 425 .

³ البريم : الجيش فيه أخلاط من الناس .

⁴ ابن حمديس: الديوان : ص 438 .

وهذا الظفر الذي يحظى به الملك ليس إلا تفاؤلاً بألقابه التي تكشف عن نفسية القائد
المجبولة على حب الانتصار، والمشبعة برغبة التفرد والتميز، فهو الظافر من أعدائه، والمؤيد
من الله بالقوة والعزم يقول (ابن زيدون) :

{ الكامل }

وَتَلَقَّ مِنْ سِمْتَيْكَ صِدْقَ تَفَاوُلِي فَهَمَا "المؤيد" بالإله "الظافر"¹

تشقّ قصائد الشعراء عن مدى فروسية بني عبّاد وشجاعتهم، فهذا المعتمد قد دأب في
تعليم أولاده مهارة القيادة وخوض الحروب، وقصّته مع ولده (الراضي) أوضح دليل على ذلك،
إذ أعزى الأخير أسباب المجد إلى البسالة والإقدام، وكلماته التي كتبها لوالده أبسط حجّة على
ولع هذه الأسرة بخصال الجرأة والقوة، يقول:

{مجزوء الكامل}

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمُؤْتَمِرَ مَا
بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالْبَوَاتِرِ
وَالْمَجْدُ وَالْعِيَاءُ فِي
ضَرْبِ الْعَسَاكِرِ بِالْعَسَاكِرِ
إِنْ كَانَ لِي فَضْلٌ فَمَنْ
كُ وَهَلْ لِذَلِكَ النَّوْرِ سَاتِرٌ²

وبتقصي أخبار الدولة العبّادية من بطون كتب التاريخ يلحظ القارئ أنّ أغلب صفات القوة
التي أمتاز بها بنو عبّاد قد عدّها المؤرخون ، من مثالبهم التي تؤخذ عليهم، لا سيّما تلك التي
تتحدث عن حروبهم التي خاضوها مع أشقائهم وجيرانهم من ملوك الطوائف .
يقول (ابن حيّان) في وصف المعتضد " أسد الملوك، وشهاب الفتنة ، ذو الأنباء البديعة
والحوادث الشنيعة، والوقائع المبيرة، والهمم العليّة، والسطوة الأبيّة"³.

ويتناول (ابن خلدون) اتساع ملك المعتضد بقوله " اشتدت حروبه وأيامه، وأول ما
افتتح به أمره بمداخلة محمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة، ثم تحارب مع عبد الله
صاحب بطليوس"⁴، متابعاً سرد حروب المعتضد وانتصاراته وحيله ومكائده ، ولم يخرج المعتمد

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، 547 .

² التلمساني، المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م، 4، ص 254 .

³ ابن الأثير: الحلة السيرة، ج 2، ص 40 .

⁴ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (العبر في خبر من غير) ، ج 4 ، ص 156 _ 157 .

عن هذا الوصف ، إذ جرى على سنن أبيه باستيلائه على دار الخلافة قرطبة التي انتزعها من يد ابن جهور، كما فرق ابنائه على قواعد ملكه ، وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف مثل باديس بن حبوس في غرناطة، وابن الأفتس ببطليوس، وابن صمادح بالمريّة الذين خاض معهم حروباً ضارية¹.

وأولى المؤرخون موقعة الزلّاقة اهتماماً ؛ فأفردوا لها حيزاً في مؤلفاتهم، ولم يُغفلوا ما للمعتمد من دور رائد في استنهاض الهمم وبث روح الجهاد في النفوس ، وقد أمدّ ملوك الجزيرة يوسفَ والمعتمد بما قدروا عليه من خيل ورجال وسلاح ، فتكامل عدد المسلمين من المتطوعة والمرتزة زهاءَ عشرين ألفاً، والتقوا هم والعدو بأول بلاد الروم في حرب ضارية وضروس²، وقد أبلى المعتمد فيها بلاءً حسناً إذ كان " فارساً شجاعاً وبطلاً مقداماً " ³.

ثالثاً : صورة الملك المؤيد من الله ، الذائد عن الدين :

بدا الملك عند كثير من الشعراء مؤيداً من الله في معاركه وانتصاراته، انطلاقاً من نظرة دينية ألزم بها الشاعر الملك بصفات العدل والتواضع وتقوى الله، فأصبحت البلاد بسياسته العادلة جنة نعيم وارفة الظلال ، فهو مدافع عن الحق وقاضٍ به، وذائد عن الدين، وحامٍ لأحكامه، قال (أبو الحسن البغدادي) ممجداً سياسة المعتمد العادلة:

{ الطويل }

لَقَدْ أَصْبَحَتْ حِمصٌ بِعِدِكَ جَنَّةً وقد أبعدتُ عن ساكنيها جَهَنَّمَ⁴

وقال (عبد الجليل بن وهبون) واصفاً المعتمد لدى اجتيازه البحر إلى أمير المسلمين

يوسف بن تاشفين:

{ البسيط }

لا تحملِ الدينَ والدنيا على خَطَرٍ وليس يُحمَدُ في أمثالكِ الغرُّ

¹ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (العبر في خبر من غير) ، ج 4، ص 158 .

² ينظر : المراكشي، عبد الواحد : المعجب من تلخيص أخبار المغرب ، ج 2 ، ص 193.

³ ابن الخطيب ، لسان الدين: الإحاطة في أخبار غرناطة ، م 2، ص 109.

⁴ التلمساني، المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3، ص 119 ، ويقصد بحمص هنا " إشبيلية " .

إن كان ثوبك مختصاً بلايسه
فقد تعلق من أذياله البشرُ
فصرت فوق دفاع الله تهصراً
براحة البر والتقوى فينهمراً¹

ورسم (حسان بن المصيصي) صورة تكشف عن مدى تلازم المعتضد وخصاله، إذ ولد هو وفروسيته في ساعة واحدة فكانا " كالتوأمين " في المعارك والحروب لا يفصلان، فتعلم المعتضد فنون القتال، وشبَّ على حبّ الغزوات، يحدوه إيمانٌ مطلق ينبع من عاطفة دينية في تطهير ثوب البلاد، ودحر العدو بشتى الوسائل و السبل، يقول:

{ الطويل }

وُلدت مع الإقدام في ساعة معاً
ولم يُبق روميّاً بفضلك مشركاً
ففدّاك في الهيجاء كوثك توأماً
تفاءلت باسم الفتح لَمَّا لقيته
وإن أشركوا بالله عيسى بن مريم
لتفتح أمراً خاله النَّاسُ مبهماً²

وقد تحدّث (ابن حمديس) في أكثر من موضع عن الملك المؤيد بنصره من الله تعالى المشمّر للدفاع عن الدين وحمائته، ولعلّ أبلغ ما يقرع هذه الصّورة قوله في المعتمد بن عبّاد لدى ظهور المسلمين على الروم ، وفرار زعيمهم " الفنش " في معركة الزلاقة عام 479 هـ :

{ الكامل }

الآن أفرخ روع كل مهيد³
وَأعزّ دين محمدٍ بمحمدٍ
إن كان نصر الله فتح بابهُ
فأبوك بادر قرعهُ بمهيد⁴

وفي موضع آخر يقول:

{ الطويل }

أجبت الهدى لَمَّا دعاك لنصره
وجردت عزمًا إذ تقلدت صارمًا
ليهنىء بني الإسلام أن أبت سالمًا
وغادرت أنف الكفر بالذلّ راغماً

¹ الشنتريني، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1 ، ص 505 .

² المصدر السابق ، ق 2 م 1 ، ص 435_436 .

³ مهيد : الخائف الفرع .

⁴ ابن حمديس: الديوان ، ص 172 .

صبرت لحرّ الطعن والضرب ذائداً
 وكم شجّة في حرّ وجهك لم يزل
 كأنّ زعيم الروم ويُلّ لنفسه
 كأنّك حرّمت الحياة عليهم
 فلم تبق من أهل الضلال بقيّة
 هناك نثيت الكفر خزيان باكيّا
 عن الدين واستصغرت فيه العظائم
 لك الحسن منها بالشجاعة واسما
 أثار عليه منك ليثاً ضبارم¹
 غداة الوغى لما استحلّوا المحارم
 لقد عادت الأعراس فيهم مأتما
 نعم، ورددت الدين جذلان باسما²

فبدأ المعتمد صابراً على جراحه، مستصغراً الأمور العظام، لا تنتيه شراسة العدو
 وقوّته، منهجه الحقّ، وغايته نصره الإسلام، وفي المقابل صور الشاعر الكفر بإنسان ذليل باك،
 أخضعه الملك وأهانته، ليعلي من جادة الدين، وينتصر له، فغداً فرحاً مستبشراً، بما حازه من
 نصرٍ مؤزر .

في حين رسم (ابن زيدون) للمعتضد صورةً بديعة، يظهر فيها سبباً في رفعة الدين،
 وعلو الملك، فإن كان الدين وجهاً فالمعتضد غرّة تتألق على محيائه، وإن كان الملك مقلّة، فالملك
 سوادها وأصل بهاءها ، يقول:

{الكامل}

الدينُ وجةٌ فيه غرّةٌ والملكُ جفنٌ أنت فيه سواد³

وقد ألمح المؤرخون إلى تأييد خطى بني عبّاد في حروبهم، وتعزيز مساعهم ، بإشارات
 خاطفة، على خلاف ما جاء به الشعراء ، إذ أفردوا لها حيزاً من أشعارهم، فهي من قبيل المديح
 الذي يُلذّ الملك لدى سماعه، فقد اختتم (المراكشي) وصفه لمجموعة خصال تحلى بها المعتضد
 بقوله " وواتته مع هذا المقادير " ⁴، في حين وصف المعتمد بقوله " الدهر على ما يريد يؤازره
 ويعاضده " ⁵.

¹ الضبارم : الأسود القوية والشديدة .

² ابن حمديس : الديوان ، ص 425 _ 427 .

³ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، ص 512 .

⁴ المراكشي، عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ج 2، ص 151.

⁵ المصدر السابق، ج2 ، ص 189 .

رابعاً : صورة الملك الوسيم :

خلع الشعراء على بني عبّاد أجمل الحلل وأبهى المحاسن، فنشروا ذكرهم في المجالس، وسيّروا أوصافهم في الآفاق، وطبّبوها بخصال حسّية أضافت على جمالهم الخُلقيّ من الكرم والشجاعة، والحصافة والوقار، فتنة وعذوبة . فعبر الفقيه (أبو الحسن بن علي) عن جمال وجه القاضي أبي القاسم، واصفاً إيّاه " بالشمس الوضاء اللامعة" فيقول:

{المجتث}

كَأَنَّما الشَّمْسُ فِي الجِ وَ حَـيْنَ يَقْطَعُ عَرْضَـهُ
وَجْهَهُ ابْنِ عَبَّادِ النَّـدِ بِ حَـيْنَ تَأْمُلُ قَرْضَـهُ
حَاوِي بِطَوْلِ يَدَيْهِ طَوَّلَ الثَّنَاءِ وَعَرْضَـهُ¹

وهذا ما ذهب إليه (ابن زيدون) في وصف جمال وجه المعتضد بن عبّاد وطلاقته ، حتّى غدت النجوم المتلألئة تحسده على هذا البهاء الذي يكمن فيه سر محبة الناس وودهم، فيقول:

{الكامل}

نَفْسِي فِدَاؤُكَ!! أَيُّهَا المَلِكُ الَّذِي زُهِرَ النُّجُومُ- لَوَجْهِهِ - حُسَّاد
تَبْدُو عَلَيْكَ- مِنَ الوَسَامَةِ - حَلَّةً يَهْفُو إِلَيْهَا- بِالنَّفُوسِ - وَدَاد²

ويذهب الشاعر إلى أبعد من هذا حين شبّه المعتضد " بيوسف الصّدّيق " الذي عرف بجماله وفتنته، يقول:

{الطويل}

رَأَيْناكَ فِي أَعْلَى المُصَلَّى كَأَنَّما تَطَّلَعَ مِنْ مِحْرَابِ داوِدَ يوسُفُ³

¹ الحميري، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 47.

² ابن زيدون، ديوانه ورسائله ، ص 512 .

³ المصدر السابق ، ص 537 .

ووافقت آراء (ابن حيّان) ما ذهب إليه الشعراء من تصوير لجمال المعتضد إذ يقول " كان قد أوتي من جمال الصورة و تمام الخلقه و فخامة الهيئة و سباطة البنيان ... ما فاق به نظراءه"¹.

وقد استعار الشعراء كعادتهم من الطبيعة ما يمكنهم من التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، فلم يجدوا غير " القمر " بمسمياته سبيلًا إلى ذلك، وقد وَظَّفَ هذا الرّمز غير واحدٍ من الشعراء، معبرين من خلاله عن وسامة الملك وبهائه، وليس هذا بغريب؛ إذ عُرف القمر علامة للتعبير عن جمال الوجه حتّى لدى العامة من النَّاس، فيصف (ابن زيدون) المعتمد لدى زيارته له " بالبدر" المشرق الذي ما إنَّ حلَّ في منزله حتّى أتت البشائر حاملة الخير والدفء، فكأنَّ الربيع احتفى بمقدمه، ووفد لوفادته، يقول:

{الرمل}

لَسْتُ بِالْجَاحِدِ آلاءَ الْعِلْمِ كَمْ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُدْنِي الْأَمْلَ
أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَدْرَ الْعُلَا مُشْرِقًا فِي مَنْزِلِي حِينَ كَمَلْ
حَلَّةٌ أَلْبَسَ عَالِي فَخْرَهَا فَاعْتَدَتْ تَرْفُلُ فِي أَبْهَى الْحَلِّ
رَفَّ بِشَرِّ الْأُفُقِ فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ²

ويصوّر (ابن اللبّانة) المعتمد بعد أسره " بالهلال " الذي حجبّت نورَه الغيوم ، فليس ما يلاقيه الملك إلّا سحابة عابرة لا تلبث أن تزول ، معبراً عن أمّله في خلاص مليكه مما يعانيه من مشاق وصعاب ، يقول:

{ الخفيف }

وَإِذَا مَا الْهَيْلَالُ غَابَ بِغَيْمٍ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْمَغِيبُ انْكِسَافًا³
كما رسم الشاعر، في موضع آخر، للمعتمد صورة حيّة تفصح عن بهيِّ إطلالته، وحسنه الأسر الذي خصّه الله به، فتمنّت الرياض والبساتين بما فيها من مظاهر خلّابة أن تدنو من

¹ المراكشي، ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 3 ، ص 207.

² يأتي حلول الشمس في برج الحمل في وقت الربيع ، ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 543 .

³ ابن اللبّانة : الديوان، ص 94 .

وسامته، فتخلعَ عليها عباؤه بما تحويه من روائح طيبة عطرة، استمدت من نضارة المعتمد التي تفوقت على عبير الرياض وأريجها، وأزهارها ، يقول:

{ الكامل }

فكأنَّما الكافورُ خالطَ ثوبه و أذابَ فيها المسكَ مزنٌ يهمعُ
حسَدتَ نضارته الرِّياضُ فودَّها لو أنَّ بردتَهُ عليها تخلعُ
رقَّ الصِّبا في خدِّه ورحيقه في كَفِّه فَموشَّع ومشعَّعُ
نادمتُ منه أخت الغزاةِ و ابنها بالكلِّ في حجرِ النسيمِ يرضعُ¹

وقد عبّر الشاعر عن بياض وجه المعتمد ، واحمرار وجنتيه بأسلوب لبق لطيف، يقول:

{ الكامل }

وكفائكَ حبسُ الحسنِ نوعيه فَمَن بَرَدِ أذيبٍ ومِن عَقيقِ ألهباً²

وذكر الشاعر في هذا البيت صفة محمودة أضافت للمعتمد جمالاً وحسناً، عبّر عنها (ابن

عبدون) بصورة أكثر وضوحاً، بقوله :

{ البسيط }

لم ينتقب وجهه للشمْرِ مشرعةً وإنه من حياء الوجه في نُقب

فحياء المعتمد الذي عرفه مجالسوه ومؤانسوه دليلٌ على رقة قلب الملك، ورهافة حسّه

ورقيّ خصاله .

وسبق هؤلاء الشعراء (الوزير أبو عامر بن مسلمة) في وصف القاضي ابي القاسم بهذه

الصفة بقوله :

¹ ابن اللبابة : الديوان ، ، ص 87 .

² المصدر السابق، ص 23 .

³ ابن عبدون ، عبد المجيد : ديوان ابن عبدون في أعماله الأدبية (الشعر والنثر) ، تح : سليم التنير ، ط1 ، دمشق ،

دار الكتاب العربي ، 1988 م ، ص 114 .

{ السريع }

رُكُوعَ أَمَلَاكَ الْوَرَى لِذِي نَدَاهُ دَانَ وَالْحِيَا شَاسِعُ
ذَاكَ ابْنُ عَبَّادٍ سَلِيلُ الْعُلَى الْحَاجِبُ الْمُرْتَفِعُ الرَّافِعُ²

كما نوّه (المراكشي) إلى هذه الخصلة من جملة صفات عدّها للمعتمد بقوله " كان فيه من الفضائل الذاتية ما لا يُحصى كالشجاعة، والسخاء ، والحياء ، والنزاهة، إلى ما يناسب هذه الأخلاق الشريفة " ³.

ويظهر أنّ الشعراء قد أفردوا لمدح جمال بني عبّاد الحسي حيزاً أكبر من ذلك الذي أورده المؤرخون، فهي من نقاط التغزل التي يستطيع الشاعر الإبداع في وصفها أكثر ، كما أنها تلائم الشعر، بما فيه من صور فنيّة واستعارات وتشبيهات ، ويتضح هذا في قول (ابن حمديس) واصفاً جمال المعتمد وبهاءه :

{ الطويل }

وَلَمْ تَرَ سِحْرًا كَالْعَيُونِ تَخَانِنَا بَزَعَمِكَ أَحْيَاءٌ وَنَحْنُ بِهَا قَتْلَى
وَمَنْ أَعْجَبَ الْأَشْيَاءِ أَنَّ سُيُوفَهَا تَعُودُ رِمَاحًا حَيْثُ تَلْحَظُ، أَوْ نَبَأًا⁴

فوصف الشاعر هنا جمال مقلتي المعتمد، مصوراً إيّاها " بالسّيوف والرّماح " الباترة التي تردي عاشقيها، فتصرعهم بحدّة اللّحظة، وسحر النظرة .

خامساً : صورة الملك الحليم ذي الرأي السديد :

عجّ الأدب العربي على اختلاف أزمنته وأمكنته بصور الوشاة والحاسدين، ممن يسعون في الخصام والبغض، ويجدون في اجتماع المحبين وتآلفهم مجالاً ملائماً لنفث سمومهم، وبثّ أحقادهم، ولم تكن الأسرة العبّادية بمنأى عن هذا الجو المشوب بريح الحسد، إذ لم يرعو

¹ ابن عبدون ، عبد المجيد : ديوان ابن عبدون في أعماله الأدبية (الشعر والنثر) ، تح : سليم التنير ، ط1 ، دمشق ، دار الكتاب العربي ، 1988 م ، ص 114 .

² الحميري ، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 146 _ 147 .

³ المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ج 2، ص 158 .

⁴ ابن حمديس: الديوان ، ص 375 .

الحاسدون في قنص الفرص المناسبة لتفريغ نوازعهم الدفينة، ساهم في ذلك اعتماد هذه الأسرة على وزراء يجيدون قرض الشعر وتجويده ، فلقى هؤلاء الوزراء حفاوة ورفعة لم يحظ بها غيرهم، فكانوا مطمعاً لأعدائهم وحاسديهم، وها هو ابن زيدون، وزير الدولة العبّادية وشاعرها الأول يقع في مثل هذا المأزق، إلّا أنّ ثقة الملك ورجاحة عقله أنقذته من نار الوشاية ولهبها، فعبر المعتمد بن عبّاد عن ثقته الغالية التي منحها إيّاه، ورفضه لأقوال البغاة والحاسدين . بقوله:

{الكامل}

أنا ذلّكم، لا البغي يُثمرُ غرسُهُ عندي، ولا مبنَى الصنِيعَةِ يُثْمُ
كُفُوا، وإلا فارقبوا لي بطشَةً يُلقى السّفيهُ بمثلها فَيُحْمُ¹

فردّ (ابن زيدون) على مليكه بأبيات تفيض حكمة وعمقا، وعبر عن ذات الشاعر الواعية لقوانين الحياة وكنهها، فغدا فيلسوفاً يجيد تقديم النصائح والخبرات، من خلاصة تجربته في التعامل مع البشر على اختلاف طبائعهم، مشيداً بحلم المعتمد بن عبّاد وحزمه، وحصافة رأيه، فالملك ذو عقل نير، قادر على فهم الأمور ومعالجتها، يقول:

{الكامل}

ما كان حِلْم "محمّد" ليُحييَهُ عن عهده دَغِلُ الضّميرِ² مُذَمَّم
مَلِكٌ تَطَّلَعَ للخِواطِرِ غُرَّةً زهراءَ يبيديها الزّمَانُ الأدهمُ
دَعِ ذِكْرَ صَخْرٍ وابنِ صَخْرٍ قَبْلَنَا أنتِ الحليمُ وغيرُكَ المُتَحَلِّمُ
لكِ عفوُ شَهْمٍ لا يَضِيعُ حَزَامَةً ولئن بطشتَ فبطش من لا يظلم³

حيث يقابل الشاعر في الأبيات السابقة بين المعتمد وسادات تميم، ممن وُصفوا بحلمهم وعفوهم ولين جانبهم، فيرجح كفة المعتمد بن عبّاد عليهم، فحلمه يصدر عن نفسٍ قويّة قادرةٍ عن الدفاع عن نفسها والثأر لذاتها؛ إلّا أنّ رقة الملك ورحابة صدره، أسبق من بطشه وقسوة يده .
وعلق (ابن خاقان) مشيداً بعفو المعتمد في هذه الحادثة بقوله " فأجمل حلال الملوك التّصامم عن سماع القدح ... والهجر لمن بغي، والزجر لمن لعب بمكروه أو رغا " ⁴

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، ص 390 .

² دغل الضمير : فاسد القلب والحقود .

³ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، ص 392 _ 394 .

⁴ ابن خاقان، الفتح : قلائد العقيان ، ص 15 .

وقد أثنى (أبو الحسن علي بن حنن الإشبيلي) على بني عبّاد بفصاحتهم، وسماحة خلقهم، وأشاد بذكاء المعتضد، والمعيتة، وقدرته على استشراف المستقبل والتكهن بأحداثه، بما يخدم هذه الدولة، ويكون عوناً له على فهم أكثر عمقاً ودقّة، فصور الشاعر ذكاء المعتضد، وعبقريته

" بالنار المتقدّة " التي تقدح درايةً وعلماً، فيقول:

{ الطويل }

ترفرق منهم بالسّماحة أوجّه وتنتال منهم بالفصاحة السّن
تظنُّ به في المشكّلات كهانةً وليسَ كذا لکنّه يتظننُّ
توقّد ذهنٍ في خمور سَكينةٍ ذكيّ كمثلِ النارِ في الزندِ تكمنُ¹

فقد أوتي المعتضد من " ثقبوب الذهن، وحضور الخاطر " ²، ما لم يوتَ لغيره، فيما صور (ابن اللبانة) المعتمد بن عبّاد " بكاهنٍ " يتنبأ بالأمر قبل وقوعها، فلا يضيق ذرعاً بأية معضلة تواجهه، فيقول:

{ البسيط }

يُعدُّ للأمرِ قبلَ الأمرِ واجِبُهُ كأنّه كاهنٌ فيه لما يَقعُ
ولن يضيقَ له ذرعٌ بمعضلةٍ بالبرِّ والبحرِ في حوبائه يسعُ³

وفي معرض الإشادة بحلم المعتمد ولين جانبه، مزج (عبد الجليل بن وهبون) بين حزمه وقوته، وعفوه وأناته، وسداد رأيه، وصواب منطقته، فظفر بأوفر الصّفات وأمثلها، فلا يضاهيه أحدٌ في ذكائه، ورجاحة عقله، ونفاذ بصيرته، فكلُّ معضلة لديه تحل، وكلّ الأمور العسيرة تسهل وتضمحل، عمدته في هذا تقديره المتعمّق فيما يُوجب الحلم والرحمة، أو يستدعي القوّة والبطش، يقول:

{ البسيط }

أحدٌ من ذهنه في كلِّ معضلةٍ إذا تعرّف في العسالة الذبلُ
واريّ البصيرة لا تزرى الأناةُ به ولا تعودُ عليه آفةُ العجلِ

¹ الشنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2 م 1، ص 184 .

² المراكشي، ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 3، ص 207 .

³ ابن اللبانة: الديوان، ص 91_92 .

لذلك الحلم في الأعداء قد علموا
 ما بين نور جبين منك مؤتلق
 فتكَّ يسُدُّ طريقَ الأمن بالوجل
 وبين فضل طباعٍ منه معتدل¹
 وفي مثل هذا المعنى، يقول الشاعر واصفاً رزانة آراء المعتمد وأناته مصوراً إياه " بالأسد " الذي تغترُّ به صغار المخلوقات ، وأضعفها ؛ لحلمه وطيب نفسه :

{الوافر}

وآراءٌ يَنْتَجِها رزاناً
 وفيه أناةٌ مقتدرٍ حلِيمِ
 فيرسلهنَّ أقداراً عجالاً
 تكادُ تغرُّ بالأسدِ النَّمالاً
 ويَبْطِشُ بَطْشَةً تنبئُ الأعداءِ
 أكفَّهُمُ وما حملوا اعتقالاً²

ولعلَّ هذا الدمج بين حلم المعتمد وبطشه يعود إلى فهم الشعراء لذات الملك المجبولة على النقيضين، المتأرجحة بين صفات اللين والرقّة ، و المكتسبة من حياته المترفة ، التي قضاها في قصوره، وبين جواريه، ومع جلساء سمره وأنسه من ناحية ، وبين صفات القوة والحزم ، التي اغترفها من معين والده، وما خاضه من حروب وانتصارات ، فغدا ذهنه مترعاً بقيم تتراوح في حدتها ولينها، فيظهر تارة حلوماً متسامحاً، ويظهر تارة أخرى صارماً شديداً، وقد حاز المعتمد برأي الشعراء أفضل هذه القيم، وهذا ما ذهب إليه (حسان بن المصيصي) في قوله:

{البيسط}

وإن أتتكَ أمورٌ لم تُعدَّ لها
 أقدمٌ على عَجَلٍ وارغَبْ على زهدِ
 فانهضْ برأيك بين الرِّيثِ والعَجَلِ
 واغظْ على رقةٍ واسفرْ على خجلِ
 حاز المؤيِّدُ ممَّا قلتُ أفضلَهُ
 وزادَ للفرقِ بينَ القولِ والعملِ³

لقد أثنى المؤرخون على فصاحة بني عبّاد، وحسن تدبيرهم ، فشهدوا للقاضي أبي القاسم بحصافته فكان حسن السياسة مع الرعية يلاطفهم ويحنوا عليهم ؛ فرمقته العيون، ومالت إليه

¹ الشنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1، ص 516 .

² المصدر السابق ، ص 510 .

³ المصدر السابق ، ق 2 م 1، ص 437 .

القلوب والنفوس¹، كما شهدوا له بوفور العقل، وسبوغ العلم، والحنكة والدهاء والحكمة في تدبير الأمور²، وأعزى المراكشي سبب اجتماع الكلمة عليه بعد إخراج بني حمّود من إشبيلية لما عُرف عنه من "حصافة عقله، وسعة صدره، وعلو همته، وحسن تدبيره"³، ولم يقلّ المعتمد ذكاءً وحسن تدبير عن والده فقد أوتي من "تقوب الذهن وحضور خاطر، وصدق الحس ما فاق على نظرائه"⁴.

سادساً : صورة الملك العظيم ذي المكانة الرفيعة

1- في مجدهم، وهيبتهم، وعلو شأنهم :

استقى الشعراء من مجد الأسرة العبادية وعلو شأنها ما يشدّ ألسنتهم لتطويع الكلمات، وقولبتها في إطار معاني الزعامة والقيادة، فرسموا لملوكهم صوراً تعلن عن مفاخرهم، فكانوا من أهل النجابة والنبل، ومن أصحاب السيادة ورواد المجد، فجلالة الملك، المتفوق بنفاز أمره وقوة بسطته هي التي أرغمت ملوك الأندلس الآخرين على الخضوع له، وفي هذا مباهاة وعظمة انتهجها الشعراء لبيان عجز سواهم عن بلوغ ما اجتمع لملوك هذه الأسرة من محامد وصفات، يقول (ابن الأبار) في وصف القاضي أبي القاسم:

{الكامل}

بالحاجب المأمول أضحك ثغره
بعماد هذا الدين والملك الذي
هز الصعاد فأرعدت من خوفه
فرحاً وأنطق جهرنا بصوابه
تتبادر الأملاك لثم ركابه
وعلا الجياد فأصبحت تزهي به⁵

وقد مدح الشعراء القاضي أبا القاسم بلقب " الحاجب " وهو من مخلفات الدولة الأموية، وسمه عليا كان يتنافس عليها⁶.

¹ ينظر : النويري، شهاب الدين أحمد: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج33، ص 442 _ 443 .

² ينظر : ابن الأبار: الحلة السيرة ، ج 2، ص 36 .

³ المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ج 2، ص 149 .

⁴ المصدر السابق، ج 2، ص 42 .

⁵ الحميري، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 29 .

⁶ ينظر: التلمساني، المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 1، ص 216 .

وفي هذا المعنى أيضاً يقول (حسان بن المصيصي) في وصف المعتمد بن عبّاد:

{البسيط}

جلافةً أدخَلتُ أملاكَ أندلسٍ تحت الخناعةِ والإحجامِ والفشلِ
كأنَّ مُلككَ أسنى من ممالكهم وأنَّ دولتكَ العُليا على الدّول¹

وقد ذهب (أبو بكر بن الملح) إلى أبعد من ذلك في وصف جلافة المعتمد، إذ إن مجده صار شديداً تتناقله الألسن ومقالاً تتطارحه الإنس والجن، ولا شك أن الشاعر اجتهد في هذا التصوير ساعياً من وراء ذلك إلى تأكيد الصورة وتمكينها في ذهن السامع؛ فهيبة الملك تعاضمت حتى تعدت قوم " عدنان وقحطان" ² ، وتفوقت على " يونان" ³ و " ساسان" ⁴ يقول:

{البسيط}

تاهت بمجدك قحطان وعَدنانُ وقد تخاضع يونانٌ وساسانُ
وسارَ ذكركَ والأفواه تنقلُهُ حتى تطارح فيه الإنسُ والجانُ⁵

في حين غالى (ابن شرف القيرواني) في مدح المعتمد بن عبّاد، ومقاربة هيئته بهيبة

¹ الشنتريني، ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2م 1، ص 438 .
² قبائل عربية مشهورة ذات عراقية وحسب، فبنو عدنان: قبيلة من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وبنو قحطان بن عامر بن شالح ينتمون أيضاً إلى نسب إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. ينظر: القلقشندي، أبا العباس: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح، إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1980 م، م 15، ص 352 _ 396 .
³ يونان: اسم فرع من الشعوب اليونانية، وقد ذكر المسعودي أن يونان انفصل عن دار أخيه قحطان؛ لما كثر نسله، فخرج يطلب موضعاً يسكن فيه، فأتى إلى المغرب، وكان جباراً، عظيماً، وسيماً، جسيماً، وكان جذل الرأي، وكبير الهمة و عظيم القدر . المسعودي، الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب اللبناني _ مكتبة المدرسة، م 1، ص 247. و ينظر: التونجي، محمد: المعجم الذهبي في الدخيل على العربي، ط 1، مكتبة لبنان، بيروت، 2009 م .

⁴ الساسانية أسرة حكمت بلاد فارس، وقد انحدرت من صلب رجل يدعى ساسان عُرف بقوته وصلابته، ينظر: أ.جى. بريل: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 17، ط 1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م، ص 5428 .

⁵ الشنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2م 1، ص 463 .

" عمر بن الخطاب " وتصوير انبساطه وتواضعه بتواضع "علي بن أبي طالب" ؛ لما لهاتين الشخصيتين من قدسيّة ومكانة، فلا يضاهاي أحدٌ خصالهم وخلالهم، إلّا أنّ هدف الشاعر الإبداعي يعلل هذه المقارنة، فيقول:

{الطويل}

فَإِنْ أَفْحَمْتَنَا هَيْبَةً عَمْرِيَّةً لَدَيْكَ لَهَا فِي الشَّعْرِ كَسْرٌ وَإِقْوَاءُ
بَدَلْتَ انْبِسَاطَاتٍ لَنَا عُلْوِيَّةً لَهَا بَعْدَ مَوَمَاتٍ¹ الْمَهَامِهِ² أَفْيَاءُ³

ولم يبتعد ابن عبدون في وصف مكانة المعتمد، ورفعته عن غيره من الشعراء، فيقول:

{ الكامل }

إِنَّ الْمَمَالِكَ، وَالسُّيُوفَ شُهُودُ، لَكُمْ إِمَاءً وَالْمَلُوكُ عِبِيدُ
شَامَتَكُمْ فِي الْمَكْرَمَاتِ عَزَائِمُ جَارٍ عَلَى أَحْكَامِهَا التَّأْيِيدُ
وَعَلَا نَشَانَ مَعَ النَّجُومِ وَقَبْلَهَا وَلَهَنَّ مِنْ بَعْدِ النَّجُومِ خُلُودُ
مِنْ مَعَشَرَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْعَلَا وَالْأَفْقُ غُفْلٌ وَاللِّيَالِي سَوْدُ
جَادُوا فَبَانَتْ فِي الْبَسِيطَةِ أَنْجَمُ وَسَطَوْا فَثَارَتْ فِي السَّمَاءِ أَسْوَدُ⁴

رفع الشاعر شأن الملك فأوصله إلى منازل النجوم في رفعتها وعلوها ، فمجد هذه الأسرة مخدّ وذكرهم باق لا يزول، وفي هذا أيضاً يقول (الوزير أبو العلاء) :

{الوافر}

لَأَنَّكَ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ نَجْمٌ بِهِ لِنَوَاطِرِ الدُّنْيَا جَلَاءُ
وِغَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ لَانْتِهَاءُ وَأَنْتَ لَغَايَةُ الْمَجْدِ انْتِهَاءُ⁵

¹ المومات : الشيء المعروف .

² المهامة : الصحراء البعيدة المقفرة .

³ القيرواني، أبو عبد الله محمد بن شرف، الديوان، تح ، حسن ذكرى حسن، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1983م ، ص 36 .

⁴ ابن عبدون ، الديوان ، ص 123 .

⁵ الشنتريني، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق2 م 1 ، ص 228 .

إنكأ الشعراء في التعبير عن مجد الأسرة العبادية على معالم كونية تمتاز بصفتي الإرتفاع والعلو " كالشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب "، وقد وقَّعوا في ذلك فكانت صورهم وتعبيراتهم غاية في الإبداع .

وها هو (ابن حمديس) يتغنى بجلالة المعتمد وهيئته، مبرزاً صورة الملوك ممن تخاضعوا أمام سلطانه وجبروته، يعضون جفونهم، ويكفون أبصارهم عن ملك بلغ مجده أعلى المراتب، فترى الشمس بعلوها تنظر إليه نظرة حاسد، وتتمنى أن تدنو من سناء الملك وأن تنال رفعته . يقول:

{ الطويل }

تَلَقَى الْمُلُوكَ الْغُرَّ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَمِنْ رَاكِعٍ مُغْضِي الْجَفُونِ وَسَاجِدٍ
يَكْفُونَ أَبْصَارًا لَهُمْ عَنْ سَمِيدٍ¹ تَدِيمٌ إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَظْرَةَ حَاسِدٍ²

وقد أثنى (ابن اللبانة) على همّة الملك وأبنائه ، الذين تمموا رسالة أبيهم في صناعة المجد وتقوية بنيانه ، يقول:

{ الطويل }

بِهَمَّتِهِ شَادَ الْعُلَاثِمَ زَادَهَا بِنَاءً بِأَبْنَاءِ جَحَاجِحَةٍ³ نُودٌ
بِأَرْبَعَةٍ مِثْلِ الطَّبَّاعِ تَرَكَّبُوا لِتَعْدِيلِ جِسْمِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ الْعَدَّ⁴

فأبناء المعتمد الأربعة وهم: الرشيد عبيد الله، والراضي يزيد، والمأمون، والمؤمن " كانوا نجوم ذلك الأفق، وغيوث ذلك الزمن " ⁵، ولا سيّما أنهم ساروا على نهج أبيهم وجدّهم ، واقتدوا بخطاهم.

¹ السَّمِيدُ : السيّد ، الكريم ، وقيل هو الشجاع ، والذئب يقال له سميدع ؛ لسرعته ، والرجل السريع في حوائجه ، سَمِيدِعُ ابن منظور : لسان العرب ، مادة " سمدع " ج 8 ، ص 168 .

² ابن حمديس : الديوان ، ص 136 .

³ الجحجج : السيّد السمح ، وقيل : الكريم . ابن منظور : لسان العرب ، مادة " جحجج " ج 2 ، ص 420 .

⁴ ابن اللبانة : الديوان ، ص 52 .

⁵ التلمساني، المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م4، ص 256 .

ويسخر (ابن اللبانة) معالم الطبيعة لرسم صورة مفعمة بالعزّ والفخار، في طابع تراجمي حزين، يحفل بمعانٍ تفيض أسىً وضيقةً؛ لزوال عهد الدولة العبادية، فقد شبّه غيابهم ورحيلهم بالنجوم التي خبت أنوارها، والشهب التي حطّت عن متونها، والجبال التي دكّت قواعدها، وقد رمى الشاعر في هذا إلى تعظيم منزلة بني عبّاد من جهة، والتفجع بالحدث الذي ألمّ بهم من جهة أخرى، فيقول:

{ البسيط }

تَبْكِي السَّمَاءَ بِمِزْنِ رَائِحِ غَادِ	عَلَى الْبَهَائِلِ مِنْ أُنْبَاءِ عَبَّادِ
عَلَى الْجِبَالِ الَّتِي هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا	وَكَانَتْ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادِ
غَابَتْ عَنِ الْفَلَكِ الْأَرْضِي أَنْجُمُهُمْ	فَلَيْسَ لِلسَّعْدِ فِيهِمْ نُورٌ إِسْعَادِ
وَبُدِّلُوا غَيْرِنَا قَوْمًا فَنَحْنُ نَرَى	تَرْكِيبَ أَرْوَاحِنَا فِي غَيْرِ أَجْسَادِ
وَأُنزِلُوا عَنِ مُتُونِ الشُّهْبِ وَاحْتَمَلُوا	فَرِيْقَ دُهُمٍ لَتَلِكِ الْخَيْلِ أَنْدَادِ
وَهَلْ يَكُونُ لَهُمْ زَنْدٌ يُرَى فَيُرَى	لِنَارِهِمْ هَبَّةٌ مِنْ بَعْدِ إِخْمَادِ ¹

وفي مشهد آخر يظهر (ابن زيدون) وقد أحاط بخلال الأسرة العبادية أوسع إحاطة، فأبدع في تلوين ملامح مجدهم، فالمعتضد هو الملك الهمام الذي أربه أعداءه، وملاً قلوبهم جراحاً تنزف حسداً على النعم التي أترعوا في فيضها، وهو الملك الصيّد، وغيره من الملوك والزعماء عبيدٌ له، وهو عين المجد وسرّه ومنتهى أربه، وسواه أطيافٌ لا تملك إلا الرضا والإذعان، فيفخر الأحياء به ويتباهون، وينعون على الأموات فوات فرصتهم في لُقيا ملوك هذه الدولة والتمتع بنعيمهم؛ فهم القبلّة التي تعقد البرية عليها الآمال والمطامح، فقد كان باب المعتمد " محط الرحال وكعبة الآمال " ²، فيقول الشاعر مجسداً ذلك في مواضع مختلفة من ديوانه:

{ الوافر }

هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَّرَتْ	خِلَالَ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاجِي
هُمَامٌ خَطٌّ - بِالْهَمِّ السَّوَامِي -	مِنَ الْعِلْيَاءِ فِي الْخِطِّ الْفَسَاحِ

¹ ابن اللبانة : الديوان، ص 56_ 58 _ 60 .

² اليافعي ، أبو محمد عبد الله : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزّمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان ، ج3 ، ص 147.

قلوبهم كأفواه الجراح¹

هو المبقى ملوك الأرض تدمى

ويقول:

{ الكامل }

مَثَلٌ - تناقله الليالي - سائر
للمجد عين فهو منها ناظر²

يا أيها الملك الذي علياؤه
أنت ابن من مجد الملوك، فإن يكن

ويقول في موضع آخر:

{ الطويل }

عليها لآمال البرية معكف
ويخلف موتاهم ثناءً مخلف
شموساً وأيدٍ من حيا المزن أو كف³

أليس " بنو عبادة القبلة التي
ملوك يرى أحياءهم فخر دهرهم
بهم باهت الأرض السماء: فأوجه

وقد نوه المؤرخون إلى مجد الدولة العبّادية واتّسع رقعتها بأقوال عدّة فقد ذكر (ابن

الخطيب) أنّ القاضي أبا القاسم " عزّ جاهه، وكثرت حاشيته، وتعددت غلمانه، وأدعت له
عداته"⁴.

كما وصف (المراكشي) المعتضد بقوله " كان قد استوى في مخافته القريب والبعيد " ⁵ ، إذ
تحلّى الملك بسمات جعلت ملوك أهل زمانه تدين له وتدعن ⁶ وهذا ما ذهب إليه أغلب الشعراء
في وصفهم .

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، 489 .

² المصدر السابق ، ص 547 .

³ أو كف : المطر الغزير . المصدر السابق، ص 533 .

⁴ ابن الخطيب، لسان الدين : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 2، ص 108 _ 109 .

⁵ المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ج 2، ص 152 .

⁶ الذهبي، الحافظ : العبر في خبر من غبر ، ج 2، ص 217 .

2 – في نسبهم ورقى أصلهم :

مما يزيد من زهو ملوك بني عبّاد وعظمتهم نسبهم الرفيع وسلالتهم الطيبة، إذ يعود أصل هذه الأسرة إلى بني لخم ملوك الحيرة ، من سلالة المناذرة، وجدّهم الأكبر هو النعمان بن منذر بن ماء السماء¹ آخر ملوك الحيرة .

وفي نسبهم قال (ابن حيّان) "جاز إلى الأندلس بعد افتتاحها رهط من لخم تفرقوا في أقطار الأندلس ، فانحاز منهم إلى غربها أخوان أسماها نعيم وعطاف فنزل أحدهما بقرية يُقال لها يومين تناسل ولده بها مدة من الزمان ، ثم انتقل بعضهم منها إلى مدينة يُقال لها حمص وهي إشبيلية ، فتناسل بها ولده وتصدوا لخدمة الملوك من بني أمية فصرفوهم في الأمور العلية ، فكثرت فيهم الوجاهة والنباهة ... وكان قد نشأ منهم إسماعيل بن عبّاد فقدّمه ابن أبي عامر على خطّة القضاء بإشبيلية " ².

فيما اعتبر المستشرق الفرنسي (هنري بيرييس) ، أنّ هذا من قبيل الغلو والغش؛ لقلّة الدم العربي الذي يجري في عروق الإسبان، ومرد مثل هذه الأقوال والمزاعم عائد إلى رغبة الملوك أن ينسبوا أنفسهم، إلى أسريات عريقة من العرب الأفحاح، مقتدين بهم ومفاخرين بنسبهم³.

إلا أنّ الشعراء تغنوا بهذا النسب الأصيل ، وعدّوه من فضائلهم ومحاسنهم المحمودة، فيقع في هذا النسب سرّ تفوقهم، وجلال قدرهم، يقول (عبد الجليل بن وهبون) :

{ الكامل }

أفلا حمّة فضائل موفورةً وجملةً تغنو لها العظماء
وأذمةً في سرّ لخمٍ لطالما خدّمت رعايةً حقّها الأمراء⁴

ويقول (أبو بكر بن الملح) :

³ النعمان بن منذر بن ماء السماء بن امرئ القيس اللخمي أشهر ملوك الحيرة ، وقد كان مقدماً ذا دهاء ، ينظر : خير الدين ، الزركلي : الأعلام ، م 8 ، ص 43 .

² المراكشي، ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 3، ص 194.

³ بيرييس، هنري: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (ملامحة العامة موضوعاته الرئيسية وقيّمته التوثيقية) ، ص 45.

⁴ الشنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2، م 1، ص 484.

{ الكامل }

ثَبَّتُوا عَلَى الْأَصْلِ الْقَدِيمِ فَأَثْبَتُوا نَسَبَ الْكَوَاكِبِ فِي قِبَائِلِ حَمِيرِ
وَبَنُوا عَلَى السَّعْيِ الْجَمِيلِ فَبَيَّتُوا أَنَّ الْمَكَارِمَ فِي تَرَاثِ الْمُنْزَرِ
بَقِيَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا رَكَبُوا الْمُنَابِرَ فِي بَطُونِ الْمُقْبِرِ¹

فقد ثبت بنو عبّاد في قول الشاعر على هذا النسب العريق الذي فاقوا به النجوم والكواكب شأنًا وقيمة ، وبنوا على مكارم أخلاق سلفهم السابق من أصحاب الحسب البهيّ، فزادوا هذه الأسرة بأفعالهم البديعة ومآثرهم الجمّة، فخرًا وسؤددًا .

وقد اجتمعت عند (ابن زيدون) مناقب السلف السابق في أسرة واحدة، ففي آل عبّاد حظّ المجدّ رحالَه مستوتقًا بهم، مستقرًا عندهم، فوجد فيهم حظوته، ونال من سناهم أمله وبغيته، فباهوا غيرهم من الملوك، وارتفعوا بقدرهم عن نظرائهم وأقرانهم، فشبهه الشاعر بني عبّاد و الملوك تحيط بهم ، بالطود الشاهق الذي تحفه الوهاد والتلال من كل جانب، فكّنى عن عظمة ملوك بني عبّاد بلفظ " الطود " وأشار إلى صغر وانحطاط قدر غيرهم مقارنة بهم بلفظ " الوهاد " يقول:

{ الكامل }

وَأَتَى بِي النُّعْمَانَ _ يَوْمَ نَعِيمِهِ _ نَجْمٌ تَلْقَى سَعْدَةَ الْمِيلَادِ
فِي " آلِ عِبَادٍ " حَطَّطْتُ، فَأَعْصَمْتُ هِمَمِي بِحَيْثُ أَنْفَقْتُ الْأَطْوَادُ
أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا فَوْقَ الْمُلُوكِ، إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادِ
بَيْتٌ تَوَدُّ الشُّهُبُ فِي أَفْلَاكِهَا لَوْ أَنَّهَا _ لِبِنَائِهِ _ أَوْتَادُ
نَيْطَتْ " بَعْبَادٍ " لَأَلَىءُ مَجْدَهُمْ فَتَلَالَاتُ _ فِي تَوْمِهَا _ الْأَفْرَادُ²

فيما صور (ابن اللبّانة) المعالي بالأُم التي لا تلد إلا أولاداً ذوي نسب رفيع، فحفلت هذه الأُم بضم بني عبّاد في أحشائها، فكانوا أبناءها الصالحين، تعهدوها بالرعاية والاهتمام، وشملوها بالثبات ولم يشذوا عن عليائها ورفعتها، يقول:

¹ الشنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2، م 1، ص 452 .

² ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 507 _ 509 .

{ الخفيف }

مِنْ بَنِي الْمُنْذِرِينَ وَهُوَ انْتِسَابٌ زَادَ فِي فَخْرِهِ بَنُو عَبَّادٍ
فَتِيَةٌ لَمْ تَلِدْ سِوَاهَا الْمَعَالِي وَالْمَعَالِي قَلِيلَةٌ الْأَوْلَادُ¹

نال نسب بني عبّاد وأصلهم، حظوة لدى الشعراء في قصائدهم؛ لعلمهم بما يتركه هذا المديح من أثر لدى ملوك هذه الأسرة، فَتَشَنَّفُ آذَانُهُمْ، وَتُطْرَبُ أَفْئِدَتُهُمْ، فتكتمل لديهم صورة المجد الذي ينشدونه بالانتساب لقبائل وأصول ذات حسب رفيع .

سابعاً : صورة الملك الشاعر ، المثقف :

زَحَرَتْ كَتَبَ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ بِالْحَدِيثِ عَنْ شَاعِرِيَةِ الْمَعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ، وَبِرَاعَتِهِ فِي النَّظْمِ وَجُودَةِ السَّبْكِ فَكَانَ " فِذَاً فِي الْبَلَاغَةِ طَرَفًا فِي الشَّعْرِ، وَالْكِتَابَةِ بَارِعًا فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ، كَثِيرَ الْأَدَبِ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ كَثِيرَ الْمَعَانِي حَرًّا فِي الْمَأْخُذِ ... رَفِيقَ الْحَاشِيَةِ، كَثِيفَ الْمَتْنِ، كَثِيرَ الْبَدِيعِ، رَائِقَ الدِّيَابِجَةِ، لَائِقَ الْإِسْتِعَارَةِ ... لَمْ يُنْشِدْ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالشُّعْرَاءِ أَشْعَرَ مِنْهُ " ².

وَوَقَفَ أَيْضًا عَلَى أَخْبَارِ إِجَارَاتِهِ الشَّعْرِيَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شِعْرَائِهِ، وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ مَا دَارَ بَيْنَ الْمَعْتَمِدِ وَ(ابْنِ جَاخِ الصَّبَاغِ)، عِنْدَمَا خَرَجَ الْمَعْتَمِدُ مَعَ نَدَمَائِهِ، وَخَوَاصِ حَاشِيَتِهِ؛ لِلتَّنَزُّهِ وَالتَّجُولِ فِي إِسْبِيلِيَّةِ، وَالتَّسَابُقِ فِي الْخِيُولِ، فَأَعْجَبَهُ مَا لَقِيَهُ مِنْ ثَبَاتٍ عَصَا كَانَتْ بِيَدِهِ عَلَى شَجَرَةِ تَيْنٍ قَدْ أَيْنَعَتْ، وَبَرَزَتْ مِنْهَا ثَمْرَةٌ، فَتَرَاوَجَ الشَّاعِرُ وَالْمَلِكُ عَلَى وَصْفِ هَذِهِ الْحَالَةِ .

فقال المعتمد:

{ مجزوء الرجز }

كَأَنَّهَا فَاقَ وَقَّ الْعَصَا

فقاله ابن جاخ:

هَامَةٌ زَنْجِيٌّ عَصَا

¹ ابن اللبابة ، الديوان ، ص 49 .

² ابن الخطيب، لسان الدين : أعمال الأعلام ، ص 157 .

فطرب المعتمد وسرّ لهذه البديهة التي يتمتع بها الشاعر، وكافأه بجائزة قيمة¹ .

وقد عُدت الإجازة الشعريّة رياضةً للفكر والعقل تنهض على حضور الذهن والباطن ، وتدفع صاحبها إلى الإطلاع المستمر على دواوين الشعر ، وتحثّه على الصبر ، وتكسبه الشهرة بين الناس ، كما تنبهه أولى الأمر إلى أصحاب الذكاء والفتنة ؛ لتقريبهم والاستفادة من مواهبهم وخبراتهم² .

وتروي قصة أخرى تراجز المعتمد و(ابن عمّار) لدى ذهابهما إلى الجامع، وسماعهما صوت الأذان . فقال المعتمد:

{ الكامل }

هَذَا الْمَوْذُنُ قَدْ بَدَأَ بِأَذَانِهِ

فردّ ابن عمار:

يَرْجُو بِذَلِكَ الْعَفْوَ مِنْ رَحْمَاتِهِ

فقال المعتمد:

طُوبَى لَهُ مَنْ شَاهَدَ بِحَقِيقَةٍ

فردّ ابن عمار:

إِنْ كَانَ عَقْدَ ضَمِيرِهِ كَلْسَاتِهِ

وهذا يدلُّ على موهبة فذة، وقريحة حيّة، وسرعة بديهة وارتجال، امتلاكها ملوك بني عبّاد وشعراؤهم ، إذ كان المعتمد يتخيّر شعراءه من النخبة الذين يجيدون القرض والسبك والحبك، ويردّ عليهم هذه البراعة والإتقان بالهدايا والهبات، ويرقيهم ويقربهم، فهم خاصته ومعاونوه .

فهذا ابن عبدون يذكر ما لقيه من ترحيب وتأهيل من المعتمد بن عبّاد لدى ذهابه إليه، وحرصه البالغ على إكرامه والاحتفاء بوفادته، يقول:

¹ التلمساني، المقري : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 3، ص 608 .

² أبو صالح ، وائل : الإجازة في الشعر الأندلسي ، نابلس ، 1993م ، ص 33 .

{ البسيط }

سَمَا بِذِكْرِي إِلَى أَسْمَاعِهِمْ أَدْبِي مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْآنَافِ بِالطَّيِّبِ
وَطَارَ بِي أَدْنَاهُ فِي أَفْقِ حِرْصِهِمْ عَلَى قَوَادِمِ تَأْهِيلِي وَتَرْحِيبِي
لَا يَنْظُرُونَ إِلَى شَخْصِي كَمَا نَظَرْتُ بِيضِ الْخُذُورِ إِلَى الْقَتْرَا مِنْ الشَّيْبِ¹

وقد أشاد الشعراء بموهبة ملوكهم من بني عبّاد، وتغنّوا ببراعتهم الشعرية، يقول (أبو عامر بن مسلمة) في وصف القاضي أبي القاسم ، مصوراً الشعر طوع حدّ بنانه، ينقاد إليه دون صعوبة أو تكلف، مشيراً إلى عظم قدرات الملك الإبداعية:

{ الرمل }

طَوَّعَ حَرَّ الشُّعْرِ عَبَّاءَ دَا وَقَدْ أَوْمَى لِسِيئَتِكَةَ
مَاجِدٌ يَنْقَادُ مِنْهُ الْـ أَدَبُ الْغَضِّ لَمَلِكِيَّةً²

في حين يعدد (ابن زيدون) ثقافات المعتضد بن عبّاد، ويبسط القول في مدى تبجّره في العلوم والآداب، فهو فقيه، وكاتب وصاحب فلسفة، وذو باع في فنون السياسة والخطابة، تشهد له ساحات الوغى، بأمجاده وبطولاته ، يقول:

{ الطويل }

هُمَامٌ يَزِينُ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَهْلَهُ مَلِيكٌ فَقِيهٌ كَاتِبٌ مُتَقَلِّبٌ
يَتِيهِ بِمَرْقَاهُ سَرِيرٌ وَمُنْبَرٌ وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُصْحَفٌ³

فيما يصوّر (ابن زيدون) في موضع آخر المعتمد بن عبّاد " بالسّاحر " الذي يتفنن في قول الشعر وتنميقه، فتصدر كلماته عن نفس ذات فتنة وعذوبة، تلقى في أذان سامعيها جاذبية يصل مداها إلى القلب الذي يهيم بدوره بسحر تلك الكلمات، ورقّتها، ويبرهن الشّاعر عن مدى هذا الإبداع بتهيبه من قول الشعر أمام الملك، الذي أثبت بثقافته وشاعريته أنه ذو دراية واسعة في التّمحيص والنّقد، وبيان الرديء من الجيد، يقول:

¹ ابن زيدون : الديوان ، ص 112 _ 113 .

² الحميري ، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 94 .

³ ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 530 .

{الكامل}

قد كان هجري الشعر - قبل - صريمةً
حتّى إذا أنست أوبك بارئنا
عبيّ قلبت إلى البلاغة عينه
ويقول (ابن حمديس) :

حذري لذيكَ النّقدِ فيها عاذر
صفتِ القريحَة واستنارَ الخاطر
لولا تُقَاك لَقَلتُ: إنَّكَ ساحرٌ¹

{البيط}

إنّا لنخجل في الإنشاد بين يدي
من ملك الله حسن القول مقوله
ربّ القوافي التي حلّين بالفقر²
فلو رآه ابن حُجرٍ عاد كالحجر³

فكذلك يبدي الشاعر عجزه وخجله أمام شاعريّة المعتمد بن عبّاد، ويصوّره " بربّ القوافي " أي زعيمها وقائدها، ويقارنه بامرئ القيس الذي لو سمع قصائد الملك، لخانته النطق، وأوهنته الكلمات، فعاد خجلاً من ذاته أمام شاعرٍ مفوّه، وجهبذٍ من جهاذة الشعر العربي .

¹ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، ص 546 .

²الفقر: الضعف ، والفقر ، اللغة الرديئة . ابن منظور : لسان العرب ، مادة " فقر " ج 5 ، ص 61 .

³ابن حمديس: الديوان ، ص 208 .

المبحث الثالث: صورة ملوك بني عبّاد السلبيّة

أولاً : صورة الملك الطاغية :

لم يكن لما انتهجه المعتضد الجبّار شديد البطش من سياسة في إخراس الألسن، وخنق الأصوات الرافضة للظلم، أن تنأى به عن النقد اللاذع، والتّصوير الفاضح، حتّى بعد موته، بل لعلّه كان أكثر بني عبّاد عرضةً لهجاء الشعراء وشماتتهم، وسخريتهم¹، فقد وقع الشعراء على "آدميّ ناضب العاطفة، محرومٍ من بواعث المحبّة، تدفع به استعداداته إلى تمزيق اللّحوم، والولوغ في الدّماء "².

فها هو وزيره (ابن زيدون) يصفه بالطاغية فيقول :

{ الطويل }

لقد سَـرَرْنَا أَنَّ النَّعِيَّ مُوكَّلٌ بطاغيةٍ قد حُـمَّ منه حِمَامٌ
تجانفَ صَوْبُ الغَيْثِ عن ذلك الصّدَى³ ومَرَّ عليه البرقُ وهَوَّ جَهَامُ⁴

ولا يخفى على القارئ ما تظهره الأبيات السابقة من غبطة وسرور؛ بموت ذلك المتجبر المسرف في القتل ، والدّماء ، فلا سقياً لأيامه ، ولا مرّ السحاب صوب سماءٍ تظلُّ قبره .
وليس عجباً أن تصدر تلك الأبيات من ابن زيدون ، على الرغم من منزلته ومكانته التي حظي بها لدى المعتضد ، فقد تعجّب النّاس من انفراده بالسلامة من بطشه ، فأجابهم :
كنت كمن يمسك بأذني الأسد ، يتقي سطوته تركه أو مسكه "⁵.

ويعرّض (ابن شرف القيرواني) بقسوة المعتضد، وجبروته، ويعرّج على قصة حديقة الرؤوس التي اتخذها الملك، وتباهى بها، فيقول:

{ الكامل }

¹ ينظر، العاني ، محمد شهاب : الشعر السياسي الأندلسي ، ص 150 .

² الفاسي، عبد الرّحمن : البطشة الكبرى ، من أبي القاسم القاضي إلى أبي القاسم المعتمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م 32 ، ج 3 _ 4 ، ص 412 .

³ الصّدّي : جسد الميت .

⁴ ابن زيدون ، ديوانه ورسائله ، ص 616.

⁵ المصدر السابق ، ص 616 .

يُخْلِى الدِّيَارَ مِنَ الْجُسُومِ وَيَجْتَنِّي ثَمَرَ الرُّؤُوسِ وَطَرْفَةَ الْأَطْرَافِ¹

وهذا ما أيده المراكشي في وصفه إيّاه قائلاً: " كان قد اتّخذ خُشباً في ساحة قصره، جلّ لها برؤوس الملوك والرؤساء، عوضاً عن الأشجار التي تكون في القصور؛ وكان يقول: في مثل هذا البستان فليُتَنَزَّهُ " ².

فقد ارتوى من دماء بعض ملوك الطوائف ممن جاوروه، وحشد في خزائنه من رؤوس ملوك البرابرة والأدارسة ممن أرداهم بسيفه مايدل على قوته، وعتو أفعاله ³، وليس أدلّ على بطشه وجبروته من قول ولده المعتمد:

{البسيط}

لَهُ يَدٌ كُلُّ جَبَّارٍ يُقَبِّلُهَا لَوْلَا نَدَاهَا لَقُنَّا إِنَّهَا الْحَجَرُ⁴

فقد صورّ المعتمد يد والده بالحجر الصّلب الذي أخضع لسطوته الجبابرة ، لولا أنّها تفيض ندىً على طلبائها .

وقد كان لأحوال المعتضد الغريبة وتصرفاته المثيرة دوراً في دفع المؤرخين إلى نعته بأوصافٍ تخرج مخرج الاستعارة والتمثيل، إذ وُصف " باعتماده على الغدر والخنل والخداع، وممارسته نصب شرك الحيل والمكايدات " ⁵ .

ومن قبيل حيله ومؤامراته " حادثة الحمّام " الذي أعدّه لاستقبال ضيوفه متظاهراً بالتهلل، وكرم الضيافة، مضمراً الشرّ في نفسه، فما إن استقرّ ضيوفه، وشعروا بالأمان، حتى أُطبق عليهم في الحمّام وأهلكهم، فكانوا ضحية مكره ودهائه ⁶.

ومن عجيب فتكه ودهائه أيضاً أنّه قتل رجلاً كان يدعو عليه في مكة؛ ذاك أن المعتضد سلبَ الرجلَ ماله، ففر الأخيرُ منه إلى مكة؛ ليأمن شره وغدره، وأخذ يدعو على المعتضد حتى

¹ الفاسي ، عبد الرحمن : البطشمة الكبرى ، ص 74 .

² المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ج 2 ص 152 .

³ بنظر ، ابن الخطيب، لسان الدين : أعمال الأعلام ، ص 55 .

⁴ التلمساني، المقرئ ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 3 ، ص 193 .

⁵ الفاسي، عبد الرحمن : البطشمة الكبرى ، ص 413 .

⁶ ينظر، ابن الخطيب، لسان الدين: أعمال الأعلام ، ص 156 .

بلغه الأمر، فأرسل إليه عن طريق أحد الحجاج، بدنانير مسمومة، ما إن أمسك بها الرجل، ووضع واحداً منها في فمه؛ بُغية فحصها ، حتى تمكن منه السمّ، وأرداه قتيلاً¹.
وسواء أكانت هذه القصص حقيقية ، أم من نسيج الخيال إلا أننا لا نستطيع أن ننكر قسوة هذا الملك وجبروته ، وقد طال بطشه وزراء أبيه ممن اتخذهم عوناً في إدارة البلاد، وتيسير أمور العباد، فقتل بعضهم، ونفى آخرين ، وزاد على فتكه قصة قتله لولده إسماعيل بعد أن اتهمه بالفساد عليه².

ثانياً : صورة الملك العايب :

يظهر المعتضد في هذه الصورة رقيقاً في غاية اللطف والدعة، على النقيض من حاله في عتوه وجبروته ، وهي صورة لا تبرز إلا في مجالس أنسه التي يشاركه فيها ندماءه كؤوس الشراب والنهم من الملذات، يسرفون في تعاطي الخمر، ويتناشدون ما قيل فيها من شعر³.
فقد كان المعتضد يترامى على الملذات، ويتفانى في تحصيل ما أوتي إليه من نعم ومسرّات⁴، وشابهه في ذلك ولده المعتمد الذي لم ينجُ من نقد الشعراء والمؤرخين، على الرغم مما عُرف عنه من عطف ولين، ومخالفة لسياسة والده، فقد انغمس المعتمد بالملذات، وعباً من كؤوس الشراب، وكان رهينة قلب لا يصدُّ عن الشهوات، وقد وصفه ابن الأبار في قوله " كان مولعاً بالخمر، منغمساً بالملذات عاكفاً على البطالة، مخلاً إلى الراحة، فكان ذلك سبب عطبه، وأصل هلاكه " ⁵.

ويوافق (ابن اللبّانة) ما ذهب إليه المؤرخون، بقوله في نذب المعتمد بعد أن زاره في

أغمات:

¹ ينظر، المراكشي، عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ج 2، ص 153 .

² ينظر، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر في أخبار من غبر)، ج 4 ، ص 157 .

³ ينظر: دوزي ، ملوك الطوائف، ص 103_104 .

⁴ ينظر: بالنثينا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 87 .

⁵ ابن الأبار: الحلة السيرة ، ج 2 ، ص 54 .

{ البسيط }

تَمَسَّكَتْ بِعَرَى اللَّذَاتِ ذَاتَهُمْ يَا بئسَ مَا جَتِ اللَّذَاتُ وَالذَّاتُ¹

وقوله في موضع آخر:

{ البسيط }

فِي أَمْرِهِ لِمُلُوكِ الدَّهْرِ مُعْتَبَرٌ فَلَيْسَ يَغْتَرُّ ذُو مَلِكٍ بِمَا مَلَكَ²

حيث يدعو (ابن اللبانة) الملوك إلى أخذ العبرة والعظة، بما آل إليه هذا الملك العظيم، فقد أعزى زوال عهد الدولة العبّادية إلى عاملين، أولهما: الغرور الذي أصيب به الملك ؛ لعظمة جاهه، واتساع بلاده، وثانيهما: الانكباب على اللذات، والتكالب على أنواع المتع والشهوات .
وقد أغفل (ابن اللبانة) ما للشعراء من دور في توجيه سياسية الدولة، ووعظ ملوكها، فليس أفضل من كلمة حق عند سلطانٍ جائرٍ، إذ تراه في موضع آخر يهون على المعتمد الأتاوات والجزى التي كان يدفعها للروم بقوله:

{ البسيط }

فِي نَصْرَةِ الدِّينِ لَا أَعْدَمَتَ نَصْرَتَهُ تَلَقَى النَّصَارَى بِمَا تَلَقَى فَتَخَدَعُ
تَتِيْلُهُمْ نَعْمًا فِي طِيْهِهَا نَقَمٌ سَيَسْتَضْرِبُ بِهَا مَنْ كَانَ يَنْتَفِعُ
لَا يَخْبِطُ النَّاسُ عَشْوًا عِنْدَ مَشْكَلَةٍ فَأَنْتَ أَدْرَى بِمَا تَأْتِي وَمَا تَدَعُ³

لقد أسرف المعتمد في المباحج، وبذل في سبيل تحقيق لذته، وترفيه نفسه مما جاد به عليه ملكه ، فامتلك أسباب اللهو، وغالى في التبذير، ولا أدلّ على ذلك من قصة (يوم الطين)⁴، حيث أنصت لرغبة زوجته في المشي على الطين، فمزجه لها بالطيب والكافور، وماء الورد،

¹ ابن اللبانة : الديوان، ص 39 .

² ابن اللبانة : الديوان ، ص 108 .

³ المصدر السابق ، ص 86 .

⁴ ينظر: خيط ، محمد:المعتمد بن عبّاد (دراسة نفسية) رسالة ماجستير ، جامعة الأخوة منتوري ، الجمهورية

الجزائرية ، 2004 م _ 2005م ، ص 18 .

فسارت عليه مغتبطة مع جواريتها، فأخذ عليه إفاقه من الأموال في غير طائل في حين أن العامة والفقراء أولى بها¹.

ومما يؤكد تهالك المعتمد على اللذات ما أورده (ابن خاقان) في روايته ، التي يصف بها دخول يوسف بن تاشفين قصر المعتمد لأسره " و هو متمسكٌ بعري لذاته، منغمسٌ فيها بذاته، ملقىً بين جواريه، مغترٌ بودائع ملكه، وعواريه ... ولما انتشر الدّاخلون في البلد، وأوهنوا القوى والجلد، خرج والموت يتسرّع في ألحاضه، ويتصدّر من ألفاظه ... " ².

ثالثاً : المعتمد وابن عمّار:

لم تمنع العلاقة الطيبة التي جمعت المعتمد بشاعره الأثير ابن عمّار من أن يتهاجى كلا الشعّارين، بعد سلسلة من المدائح كان ابن عمّار قد قالها في ملكه، حيث نسب لابن عمّار، أبيات في هجاء المعتمد، والتعريض بزوجته وذويه، وقد أقدع فيها الشاعر على نحو جعل ابن بسّام يترفع عن ذكر أغلب أبياتها³. يقول ابن عمّار:

{المتقارب}

أناخُوا جِمالاً وحازُوا جِمالاً	الأحْيَ بِالغِربِ حَيّاً حِلالاً
وَنَمَ فَعسى أَن تَراها خيالاً	وعرّجٌ بيومين ⁴ أمّ القرى
ولم ترَ للنّارِ فيها اشتعالاً	لتسأل عن ساكنيها الرّماد
ء ،وقدماً عهدتُك تهوى الرجالا	أراك تـورى بحبّ النسا
رُميكيّة ما تساوي عقالاً ⁵	تخيّرتهـا من بنات الهجان

فكان لاعتماد الرميكية وأولادها النصيب الأكبر من هذا الهجاء؛ ذلك أن ابن عمّار تعهد المعتمد بكشف عرضه، وهتك ستره، فلم يجد سبيلاً لهجائه والنيل منه سوى بالقدح في زوجته وأولاده ، يقول :

¹ التلمساني، المقري ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1، 440 .

² ابن خاقان: فلاند العقيان ، ص 22 .

³ ينظر: السنتريني، ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م1، ص 414 .

⁴ يومين : قرية بإشبيلية ، كانت منها أولية بني عبّاد ، والشاعر هنا يشكك بنسب بني عبّاد الرفيع ، التلمساني، المقري ،

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 4 ، ص 212 .

⁵ ابن الأبار: الحلة السيراء ، ج2، ص63 .

{ المتقارب }

فجاءتْ بكلِّ قصيرِ العِذارِ لئيمِ النَّجارينِ عمَّاً وخالاً
قصارِ القُدودِ ولكنَّهم أقاموا عليها قرونأ طوالاً
سأهتكَ عرضك شياً فشيئاً وأكشفتُ سترك حالاً فحالاً¹

وكانت تلك الأبيات ردّاً على أخرى نظمها المعتمد في ذمّ ابن عمّار وأمه². ولكنّ ابن عمّار كتب على نفسه الهلاك لدى قوله تلك الأبيات، فلم تمنعه استعطافاته، وتوسلاته من بطش المعتمد، إذ بلغ الغيظ أقصاه بالمعتمد، فأمسك بقطعة من حديد، ذات مقبض كان قد أعدّها، وهوى بها على رأس ابن عمّار، حتى مات³.

وقد انفضَّ عقد الصداقة بينهما، بادئ ذي بدء، حين سوّلت لابن عمّار نفسه الاستحواذ على مرسية والاستئثار بها بعيداً عن حكم المعتمد⁴، زاد على ذلك هذه الأشعار التي نظمها في هجاء المعتمد وزوجته الرميكية وأبنائه، فاستشاط غضب المعتمد عليه ولم يجد سبيلاً سوى القضاء على صديقه رغم ما أظهره ابن عمّار من ندم شديد. بكلمات شهيرة تعالج حروفها جراح القلوب وتعفي على هضبات الذنوب لولا هذا القدر المكتوب و الأجل المحسوب⁵.

رابعاً : صور أخرى :

ومن الصور التي رسمها الشعراء لبني عبّاد ما ذكره (ابن شرف القيرواني) في تشبيهه ندما المعتمد، ووزراءه " بالطيور " التي يسبغ عليها المعتضد عطاياه، فتصبح أسيرة لنعمائه، ولكنّه ما يلبث أن يتصيدها ليغلق عليها قفصه، ويفتك بها، فيقول في سخرية لاذعة متعجباً من حال أولئك الشعراء، وتحديداً ممن نجا منهم من جبروت المعتضد⁶ :

¹ التلمساني، المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 4، ص 212 _ 213.

² الشنتريني، ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2 م 1، ص 413 _ 413.

³ أباطة، ثروت : ابن عمّار، ط 2، دار المعارف، مصر، 1958م، ص 128.

⁴ ينظر: النويري، شهاب الدين : نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23، ص 160.

⁵ ابن الخطيب، لسلن الدين : أعمال الأعلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 161.

⁶ ينظر: بن لخصر، امحمد: لهجاء السياسي في الأندلس زمن الفتنة، مجلة المخبر، أبحاث اللغة العربية والأدب

الجزائري، جامعة بسكرة، 2006 م، ع 3، ص 24.

{البسيط}

أَنْ تَصِيدَتْ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرَةٍ
حَسَبْتَنِي فِرْصَةً أُخْرَى ظَفَرْتَ بِهَا
لَكَ الْمَوَائِدُ لِلْقُصَادِ مُتْرَعَةً
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْمٍ بِهَا انْتَشَبُوا
وَلَمْ يَطْبُقْ قَطُّ لِي مَنْ يَلْدُ وَلَا
أَوْسَعَتْهَا الْحَبُّ حَتَّى ضَمَّهَا الْقَفْصُ
هَيْهَاتَ مَا كُلُّ حَيْنٍ تُمْكِنُ الْفِرْصُ
تُرْوِي وَتُشْبَعُ لَكِنْ بَعْدَهَا غُصَصُ
لَكِنَّمَا عَجَبِي مِنْ مَعْشَرٍ خَلَصُوا
سَلَوَى إِذَا كَانَ فِي عُقْبَاهُمَا مَغْصُ¹

فلم يَفِدْ ابن شرف على المعتضد ؛ حتى لا يتعرض إلى ما تعرض له غيره من مصير مؤلم، وفي ذات السياق يسخر الشاعر من ألقاب ملوك بني عبّاد؛ فهي لم تزيدهم إلا جبروتاً وقسوة، فقد أضعوا السُّلْطَان، وأفقدوه هيئته، وجاروا على الأندلس بتقسيمها إلى ممالك ودويلات².

يقول:

{البسيط}

مَمَا يَبْغُضُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلَسِ
أَلْقَابِ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
أَسْمَاءَ مَقْتَدِرٍ فِيهَا وَمَعْتَضِدِ
كَالِهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الْأَسَدِ³

وفي صورةٍ أخرى يظهر الملك مهجواً ببخله ، فهذا (أبو الحسن جعفر بن إبراهيم اللورقي) يهجو بني عبّاد، وينعتهم بالبخل، فيقول:

{ الطويل }

تَعَرَّ عَنْ الدُّنْيَا وَمَعْرُوفِ أَهْلِهَا
حَلَّاتُ بِهِمْ ضَيْفًا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
إِذَا عُدِمَ الْمَعْرُوفُ فِي آلِ عَبَّادِ
بِغَيْرِ قِرَى ثُمَّ ارْتَحَلْتُ بِلا زَادِ⁴

¹ ابن شرف القيرواني ، الديوان ، ص 68 _ 69 .

² ينظر: عبد الله، نافع : الهجاء في الشعر العربي الأندلسي ، ص 65 .

³ ابن شرف القيرواني : الديوان، ص 23 .

⁴ التلمساني، المقرئ ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، م 4، ص 226 .

فهو ينكر على بني عبّاد كرمهم، وسعة عطاياهم، إذ إنّه أقام في بلادهم، فلم يكرموا وفادته، ولم يحتقوا به أو يسبغوا عليه من هباتهم، وهذا دليلٌ على أنّ الشعراء " لم ينحُ من لسانهم من أحسن فضلًا عمّن أساء من العظماء والرؤساء " ¹.

كما ظهرت طائفة من الشعراء المتحسرين على حال الأندلس ، والناقمين على حياة أمرائها اللاهية العابثة ، ولعل أبرزهم (السميسر الألبيري) الذي يعدُّ شعره وثيقة دقيقة لحياة الأندلس السياسية والاجتماعية ، فقد وظّف شعره في هجاء حكام عصره ، الذين عاش في كنفهم أو اتصل بهم ² ، فلم يتورع عن عدّ مثالبهم ، وتحذيرهم ، ونصحهم ، ومما عابه عليهم موالاتهم لعدوهم الإسباني ، وتناحرهم ، وتشاققهم ، ويظهر هذا في قوله :

{ مجزوء الكامل }

نَادِ الْمُلُوكَ وَقُلْ لَهُمْ	مَا الَّذِي أَحْدَثْتُمْ
أَسَلِمْتُمْ الْأَسْلَامَ فِي	أَسْرِ الْعِدَا وَقَعَدْتُمْ
وَجِبَ الْقِيَامُ عَلَيْكُمْ	إِذْ بِالنَّصَارَى قَمَرْتُمْ
لَاتَنْكِرُوا شِقَّ الْعَصَا	فَعَصَا النَّبِيِّ شَقَقْتُمْ ³

وقوله :

{ الوافر }

رَجَوْنَاكُمْ فَمَا أَنْصَفْتُمُونَا	وَأَمْنُنَاكُمْ فَخَذَلْتُمُونَا
سَنَصْبِرُ وَالزَّمَانُ لَهُ انْقِلَابٌ	وَأَنْتُمْ بِالْإِشَارَةِ تَفْهَمُونَا ⁴

كما يصور تهاون الملوك في نجدة الأمة ، وعجزهم عن حماية الرعية ، بقوله :

{ المتقارب }

خُنْتُمْ فَهَنْتُمْ وَكَمْ أَهْنْتُمْ	زَمَانٌ كُنْتُمْ بِلَا عِيُونَ
---------------------------------------	--------------------------------

¹ التلمساني، المقرئ ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، م 4، ص 226 .

² ينظر ، الكيلاني ، حلمي : السميسر : حياته وشعره ، مؤنة للبحوث والدراسات ، 1992م ، م 7 ، ع 1 ، ص 103 .

³ الشنتريني ، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 1 م 2 ، ص 885 .

⁴ المصدر السابق ، ق 1 م 2 ، ص 885 .

فَأَنْتُمْ تَحْتِ كُلِّ تَحْتٍ وَأَنْتُمْ دُونَ كُلِّ دُونَ¹

ومن هذا أيضاً قول ابن عبدون مصوراً حال أمراء الطوائف أفضل تصوير :

{الوافر}

فسألني عن ملوك الأرض تسأل
كأعضاء بها ألم فقلب
ويمنى لا تجود على شمال
فما أبقوا ولا همُّوا ببقيا
خبيراً فاقض حق الاستماع
على ضمدٍ ورأسٍ في صداع
ولا تُصفي المودة للذراع
ونقل الطبع ليس بمستطاع²

لقد وصف هؤلاء الشعراء واقع عصر الطوائف بكل ما يعانیه من تشتت ، وانفصال ، مستمدين صورهم من الحالة السياسية والاجتماعية التي سادت عصرهم ، ولما كان بنو عبّاد جزءاً من ملوك الطوائف فقد كانوا عرضةً لهجاء الشعراء ، وسهام ألسنتهم ، و على الرغم من كون ذلك الهجاء جاء عاماً في مضمونه ، إلا أنه عاب على الملوك سياستهم في إدارة البلاد ، وما جلبوه لرعيّتهم من فرقة وتمزق

ومما لا شكّ فيه أنّ صورة ملوك بني عبّاد السلبية كانت غير مكتملة المعالم، إذ كان الهجاء عرضةً لمؤامرة السلطة الحاكمة ، فلم يصل لنا من هذا الشعر إلا أقلّه، فخفي ما يساعد الباحث على استقصاء صورة سلبية عرض لها المؤرخون بشيءٍ من التوسع³.

¹ التلمساني ، المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 4 ، ص 108 .

² ابن عبدون : الديوان ، ص 161 – 162

³ البرقاوي ، بسّام : محنة الهجاء والهجانين في الأدب الأندلسي ، ص 311 .

المبحث الرابع: مواضع اتفاق واختلاف آراء الشعراء والمؤرخين في صورة ملوك بني عبّاد

أضحى الشعر في ظل بني عبّاد وثيقة تاريخية، يواكب الأحداث التي مرّت بها دولتهم ويسجلها، فتراه يصور عزّهم وملكهم، ومجالس خمرهم وملاهيهم، ويتغزل بقصورهم وعمرانهم، ويصف قوتهم وجبروتهم، وتراه يفيض بالدموع على نكبتهم وزوال عهدهم، وإن كان شعر المعتمد نفسه أصدق شاهد على تقلّب الدّهر وغدر الزمان ، فرسمت قصائد هؤلاء الشعراء لبني عبّاد صوراً مختلفة تنضح عن الواقع الذي عاشته هذه الدولة من فترة زهوها وجبروتها إلى زوالها واندثارها .

ولاكتمال صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية والسلبية كان لا بدّ من تتبع أقوال المؤرخين الذين أسهموا بدورهم في تعزيز ملامح تلك الصورة، وإيضاح معالمها، ولا سيّما أنّها جاءت في كثير من الأحيان مطابقة لما فاضت به ألسن الشعراء، وجادت به قرائحهم، على الرغم من اختلاف طريقة عرضها، وتسجيل أحداثها.

فعلم التاريخ يُعنى في البحث في أحوال السابقين وما تركوا من آثار ووثائق تدل عليهم، ثم نقدها وتأييدها، فهو يشمل الاستقصاء، والبحث، وطلب الحقيقة ، وليس مجرد عملية تدوين وكتابة¹، فهو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون، إلا أنّ في باطن هذا العلم نظراً وتحقيقاً وتعليلاً للكائنات ومبانيها، وكيفيات الوقائع وأسبابها² .

هذه الأحداث والوقائع هي من تحرك عجلة التاريخ، وتدب الحياة في قلم المؤرخ، فتدفعه إلى الملاحظة، والتسجيل، والتمحيص .

فالمؤرخ هو من يدرس الماضي ونظره متجه إلى المستقبل، بينما تقف أقدامه ثابتة على الأرض، فيرقب الأحداث و يحلّلها، ويستخرج حقائقها³ .

¹ ينظر: شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط 14، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ج 1 ، ص 28 .

² ينظر: ابن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 1، ص 23 .

³ ينظر: مؤنس، حسين: التاريخ و المؤرخون، عالم الفكر، م 5، ع 1، 1974م ، ص 54 .

وقد وضع ابن خلدون شروطاً للمؤرخ أبرزها : أن يكون عارفاً بطبيعة الحوادث والأخبار، مجاناً التشيع والتحيز للآراء والمذاهب، التي تفقد المادة التاريخية موضوعيتها وصدقها¹ .

وبذلك يتم تحقيق الفائدة المرجوة من هذا العلم، وهي الوقوف على الحقيقة، ومعرفة التجارب والحوادث وفهمها وتفسيرها بالاطلاع على " أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم و سياستهم " ² .

وبالتالي يمكن القول : إنَّ اهتمام المؤرخ ينصبُّ جَلِّه على نقل الحوادث وتأريخ وقوعها، وأسماء أبطالها، وتعليلها ، في حين إنَّ الشاعر لا يهتم بنقل الحوادث، بقدر ما يهتم بوصف أثرها في نفسه، وفي نفوس الناس ، إنَّه ينقل لنا فرحة النصر، ومرارة الهزيمة، ولوعة الانتظار ، وألم الفقد ، و ينقل لنا أحاسيس الأبطال ومشاعرهم ، ويتكلم عن الشجعان، والجناء ، والكرماء والبخلاء ، ويتحدث عن الوله والغربة والحنين ، ويصف أوجاع الناس وآلامهم وعذاباتهم وطموحاتهم ، وتعبير الشاعر عن مثل هذه المواقف يستوجب قدراً كبيراً من العاطفة³ ، التي لا يستطيع المؤرخ استحضارها أو الإحساس بها ؛ لأنَّ المادة التاريخية تفقد بذلك قسطاً كبيراً من صدقها ، إذ يغدو المؤرخ رهين عاطفته التي تبسط سيطرتها على عقله ، وهذا ما يبعده عن الحقيقة التي تحتاج إلى ذكائه وحضور ذهنه وفكره ، أكثر من أي شيء آخر يحتاجه الشاعر في نقل أحاسيسه .

و مما لا ريب فيه أن هذا الاختلاف والاتفاق بين آراء المؤرخين والشعراء وأسلوبهم المتبع في عرضها ، قد أوجد أساساً سليماً وصلباً تستند عليه قيم الموضوعية والصدق ، التي ينشُدُها أي باحث في تحري مادته .

فمن الآراء التي اتفق فيها الشعراء والمؤرخون في صورة ملوك بني عبّاد ، ما تحدثوا فيه عن صفاتهم وخصالهم الحسنة ككرمهم، ووسامتهم، وثقافتهم، وشاعريتهم، واتساع نفوذهم، وعظمة مكانتهم ، فينقل المؤرخ ما يراه ويسمعه من سلوكيات وتصرفات وخصال ، والاختلاف

¹ ينظر : ينظر: ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 1، ص 29 .

² المصدر السابق ، ج 1، ص 7 .

³ ينظر : حميدي، خميس: الحركة الأدبية في إشبيلية لزمان بني عبّاد، ص 141 .

يكن في أسلوب العرض لكلا الطرفين؛ إذ أن المؤرخ ينقل دون تحيز وبتجرد وبأسلوب يقترب أكثر إلى المنطقية والعقلانية ، في حين أن الشاعر يصف ما يراه بأسلوب بليغ متقن فيه تفنن وإعمال فكر وعاطفة مشبوبة ، فيمدحون ويتغزلون ، ويرثون ويتحسرون، بعبارات رشيقة وأساليب بلاغية مختلفة.

فرؤية المؤرخ إلى الأحداث تختلف عن رؤية الشاعر وطريقة تعاطيه معها كما أن الظروف المحيطة بالحدث تؤثر في أسلوب عرض المادة ونقلها لا سيما إن كان أولي الأمر من الساسة والملوك محور هذه المادة ، التي يتحكم بأغلب الأحيان في توجيهها وعرضها ، قوة هذه الفئة وسطوتهم ، خاصة بالنسبة لمعاصريهم من الشعراء والأدباء والمؤرخين ، فيظهر الخوف والتردد على مسرح الأحداث باسطاً نفوذه ومحكماً قبضته ، كما أن هؤلاء الملوك لم يراعوا في استئصال شأفة من تسول له نفسه العبث في أمن الدولة، أو تأليب رعاياها عليهم، فلم يغفل الملوك لما لأصوات الشعراء من صدى يجذب الأسماع ، فهم بمرتبة الإعلام الناطق منه الحر الصادق، ومنه الخبيث المنافق .

لذا ظهر كثير من قصائد الهجاء مجهولة النسب " فنجد الشاعر المجهول ، كالجندي المجهول يناضل بكلماته الملتهبة على عدة جبهات ، منتقداً ومحمساً ومثيراً لشعور الأندلسيين من أجل الذود عن مقدساتهم ، وذلك من غير أن يفقد الأمل في المستقبل " ¹

فمن أمثلة الاختلاف بين الشعراء والمؤرخين في صورة ملوك بني عبّاد ما نقله الشعراء عن قوتهم وبأسهم ، والتعني بانتصاراتهم وحروبهم وإن كان على حساب جيرانهم وإخوانهم فهذا ابن زيدون يتعنى بنصر المعتضد و ابنه المعتمد على جيرانهما من بني الأفتس وغيرهم من الأقاليم المجاورة في أكثر موضع ² ، إلا أن هذا الأمر عدّه المؤرخون من قبيل البطش والقسوة فهذا ابن بسّام يعلق على أبيات ابن اللبّانة و حسان بن المصيصي في تبرير و تهوين أمر الأتوات التي قدّمها المعتمد للنصارى بقوله " هذا مدح غرور، وشاهد زور، ومَلَقٌ مُعْتَفٍ سائل وخديعةٌ طالب نائل " ³ و يظهر الشاعر هنا وهو يحارب مناوئيه بالكلمة ، ويدافع عن سياسية

¹ أعراب ، الطرايسي أحمد : الأصوات النضالية والانهزامية ، مجلة عالم الفكر ، م 12 ، ع 1، ص 139 .

² ينظر : ابن زيدون : ديوانه و رسائله ، ص 516 _ 525 .

³ الشنتريني ، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2م 1 ، ص 249 .

مليكه ، فيتغنى ببطولات سيده ويترنح على انتصاراته ويحتسي وإياه الكأس على جثث أعدائه ،
فإخلاصه المطلق يكون لحاكمه ومولاه ، فمصلحة الشاعر الشخصية من خلال تحصيل الفائدة
من الملك ، تتفوق في كثير من الأحيان على مصلحة البلاد والعباد .

و يمكن من خلال ما سبق استنتاج عدة عوامل تؤثر في توجيه فكر الشاعر و صوته :
أولاً : مفهوم التبعية بمعنى أنّ الشاعر يتبع لهذا الملك أو ذاك ، فوظيفته تتحدد في
الدفاع عن هذا الحاكم وتعظيم أمجاده و بطولاته كأن يُقال " الشاعر الفلاني مختص بالملك
الفلاني"¹.

ثانياً : المصالح الذاتية التي يسعى وراءها الشاعر فيغدو لديه الشعر وسيلة للكسب
والارتزاق، إلا أن هذه الظاهرة لم تبسط ظلّها على جميع الشعراء في ذاك العصر، فمنهم من لم
ينطق الشعر إلا لدوافع نفسية محضة .

ثالثاً : الخوف من النهاية المريرة التي سيؤول إليها الشاعر إن حاول نقد سياسة حاكمه،
أو المس بها وما حدث مع ابن زيدون من محاولات الوشاة الايقاع بينه وبين المعتمد ، وكذلك ما
حل بابن عمار والنهاية التي آل إليها ؛ أبسط دليل على مغبة تحدي الملوك ونقدهم.

وعلى الرغم من هذا التردد والخوف اللذين بسطا حضورهما على شعراء هذه الحقبة إلا
أنّ هناك مجموعة من الشعراء الذين لم تخضع نفوسهم ولم تُدعن أصواتهم عن قول الحق ،
لاسيما بعد سقوط طليطلة ، الذي كان بمثابة ناقوس خطرٍ طرق بقوةٍ أسماع الساسة والعلماء
والشعراء وكل غيور على دينه ووطنه . فالقصيدة الأندلسية رافقت هذه المحنة بكل أبعادها
وصورها وجسدت جميع تفاصيلها ، ولايُمكن أن ننكر ما كان للشعراء من فضل في استنهاض
الهمم وبث روح الجهاد في النفوس² فهذا أبو حفص الهوزني يحرض المعتضد على الجهاد
بقوله :

¹ التلمساني ، المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 3 ، ص 185 .

² ينظر : موسى ، فيروز : صور المقاومة في الشعر الأندلسي ، مجلة التراث العربي ، ع 128 ، شتاء 2013 ، ص

{ الطويل }

أَعْبَادَ جَلِّ الرُّزْءِ وَالْقَوْمِ هَجَّعَ عَلَى حَالَةٍ مِنْ مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ
فَلَقَّ كِتَابِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً وَإِنْ طَالَ فَالْمَوْصُوفُ لِلطُّولِ مَوْضِعٌ¹

فأدوات سقوط أيّة دولة واحدة لا تتغير وهي الخيانة و الأثرة والمصالح الذاتية وعلى الرغم من أن التاريخ يكرر نفسه إلا أن ملوك الطوائف لم يلقوا بالاً للخطر المحدق حولهم ، وما لتعاظم قوته من أثر يهدد وجودهم² . فلم يستدركوا أخطاء أسلافهم من الملوك الذين عجّت كتب التاريخ بقصصهم وأخبارهم .

وقد تحدث ابن الأثير عن علم التاريخ، وأهميته، وفائدته لا سيّما بالنسبة للملوك، وأولي الأمر والنهي، فالملوك إذا وقفوا على مافي الروايات التاريخية من سيرة أهل الجور والظلم ، والعدوان، ورأوها مدونة في الكتب، تتناقلها الناس، وترويها الأجيال المتعاقبة، متأمّلين فيما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحداث، وما أفرزت على البلاد و العباد من خراب ، وهلاك ، وفساد؛ استقبحوها، وأعرضوا عنها، واجتنبوها ، أضف إلى ذلك ما يتحقق لهم من معرفة الآراء الصائبة، التي يدفعون بها أذى الأعداء ، وضررهم³ .

وقد ازدان عصر الطوائف بعدد من المؤرخين النابهين منهم المحدثّ و الفقيه و الكاتب والطبيب ، وبفضلهم ازدهرت الكتابة التاريخية في هذا العصر ، وقد نتفقوا ثقافة موسوعية عمادها القرآن والحديث وعلومهما ، واللغة العربية وعلومها وتوسعت هذه الثقافات من خلال رحلاتهم العلمية وعلاقاتهم المتشعبة وصدقاتهم المتعددة ؛ مما أهل بعضهم لتولي مناصب مهمة

¹ التلمساني ، المقري : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 93.

² ينظر : حوالة ، يوسف : بنو عباد في إشبيلية (دراسة سياسية و حضارية) ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية ، 1980 .

³ ينظر : ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 1 ، ص 7 .

في الدولة ، وهو ما كان له الأثر في إطلاعهم على أدق التفاصيل الخاصة بشؤون الحكم ، فأثرت الأحداث الجارية في مواقفهم وآرائهم ، فامتلكوا ايدولوجية خاصة قادت زمام فكرهم التاريخي¹ فعبروا عن آرائهم ومعتقداتهم وتصوراتهم ، ولم يقفوا عند حدود الحدث الخارجي ، بل حاولوا الولوج إلى أعماقه ؛ لمعرفة أصل الداء و استئصاله ، وقد كان لامتزاج هذه الأفكار والرؤى التي بثها المؤرخون في تأليفهم مع كلمات الشعراء المبدعين التي نسجوها في دواوينهم أثرٌ بالغ في جلاء صورة ملوكٍ احتضنتهم فردوس العرب المفقود، فصالوا وجالوا، وغبوا من النعيم والخيرات، ورتعوا في الحدائق والبساتين، وعبوا من كؤوس الرّاح، مشيّدين حقبه من أكثر حقب العهد الأندلسي إثارة للجدل، واضطراباً في الأحداث .

¹ ينظر : صالح ، إيمان محمد : العوامل المؤثرة في الفكر التاريخي في عصر الطوائف ، شبكة الألوكة ، ص 10 _ 13
[http : // www . alukah . net / Culture](http://www.alukah.net/Culture)

الفصل الثالث

السمات الفنيّة

المبحث الأول : بناء القصيدة .

المبحث الثاني : اللغة والأسلوب الشعري .

المبحث الثالث : البناء الفني .

المبحث الرابع : الموسيقى الشعرية .

الفصل الثالث

السمات الفنيّة

المبحث الأول: بناء القصيدة

أولاً : مقدمة القصيدة :

يتفق الباحثون في الأدب الأندلسي على أن شعراء الأندلس اتّبَعوا في نظم قصائدهم اتجاهات عدّة، تراوحت بين المحافظة على القديم الموروث، والجديد المحدث؛ فمن الشعراء من وجدّ في القصيدة التقليدية التي أرسى الجاهليون قواعدها، ما يعبر عن أفكاره وآرائه، ومنهم من رأى في الاتجاه المحدث الذي ابتدعه المشاركة في العصر العباسي، ما يوافق رؤيته الفنية ويخدم إبداعه الشعري¹.

وقد تردد شعراء العهد العبادي بين مذهب شعري وآخر، فمنهم من امتثل الصور الشعرية القديمة، واتّبع الطريقة الجاهلية القائمة على جزالة الألفاظ، وتدفق المعاني، فكانت قصائدهم ذات نفس شعري نمطي، قد ألبس حلة جديدة تتلاءم مع الحياة البيئية والاجتماعية والسياسية التي سادت عصرهم، وتركت آثارها في نظمهم².

ويلحظ القارئ لشعر الأندلسيين في بلاط بني عبّاد تنوعاً في مقدمات قصائدهم، وتراوحاً في اتجاهاتهم، فقد حرص الشعراء على تنميق مقدماتهم بما يتلاءم مع غرض مدحهم ، ويرتقي إلى مكانة ممدوحهم ، وعظم شأنهم ، فهذا ابن زيدون يفتتح قصيدته في مدح المعتضد بمقدمة غزلية تفيض بمعاني الحب واللوعة، فيقول:

{ الوافر }

أَعْرِفُكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيحِ فَهَزَّ مِنَ الْهَوَى عَطْفَ ارْتِيَاحِي
وَذَكَرُكَ مَا تَعَرَّضَ أَمِ عِدَادًا³ غَصِصَتْ عَلَيْهِ بِالْعَذْبِ اللَّقَاحِ
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقٍ هَفَّتْ بِالْعَقْلِ أَمْ نَشَوَاتِ رَاحِ؟

¹ ينظر: السعيد، محمد مجيد : الشعر في ظل بني عبّاد، ص210-213، و نجا، أشرف محمود: قصيدة المديح في الأندلس، ص 109.

² ينظر: حميدي، خميس: الحركة الأدبية في إشبيلية زمن بني عبّاد، ص 108. و السعيد، محمد مجيد، الشعر في ظل بني عبّاد، ص 213.

³ العِدَاد : الوجد أو المرض .

وكم أسقمت من قلب صحيح بسقم جفونك المرضى الصّاح
متى أخف الغرام يصيفه جسمي بألسنة الضنى الخرس الفصاح¹

فيصف الشاعر ما أثاره الغرام في نفسه من شوق ولهفة ، وما أحدثه في جسده من رق وهزال ولا سيما أنّ محبوبته غدت بعيدة عنه، فلا يتمكن من الالتقاء بها ؛ خشية الوشاة والرقباء، فاكتفى ببث هواه مع نسمات الرياح علّها تصل إلى محبوبته وتبلغها سلامه، فيقول:

{ الوافر }

للقينا من الواشين حتى رضينا الرسل أنفاس الرياح²

لينتقل بعد ذلك إلى مدح المعتضد ويخلع عليه من الصفات ما يثبت تميزه ومثاليته³، فيقول:

{ الوافر }

فهل عدت العفاف هناك نفسي -فديتك- أو جنحت إلى الجناح
وكيف ألاج لا يثنني عناني رشاد العزم عن غي الجماح
ومن سرّ ابن عبّادٍ دليلٌ به بان الفساد من الصّلاح⁴

فيربط الشاعر بين عفة حبه، وعفاف ممدوحه الذي أقام دولته على الصّلاح، وقضى على سبل الفساد. ولعل ابن زيدون لجأ إلى تلك المقدمات في جل مدائحه لما تثيره من انفعال في نفس المتلقى فيتحقق له غرضه " من عطف القلوب، واستدعاء القبول، بحسب ما في الطّباع من حبّ الغزل، والميل إلى اللّهو والنّساء"⁵، فتراه يقف في مقدمة قصيدة أخرى على أطلال محبوبة رحلت وعزّ عليه لقاءها، وحال بينهما أهلّ شديدا الغيرة يعدّون العشق جريمة لا تغتفر، فيتكبد المخاطر في سبيل الوصول إليها، ويكتفي من الوصل بالتحية العجلى، فيقول:

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 487.

² المصدر السابق ، ص 488.

³ ينظر: حميدي، خميس: الحركة الأدبية في إشبيلية، ص 123.

⁴ ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 488.

⁵ القيرواني، ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 225.

{ الطويل }

أما في نسيم الريح عرّف معرّف
فنقضي أوطار المنى من زيارة
ضمانّ علينا أن تزار ودونها
وقوم عدىّ يُبدون عن صفحاتهم
كفانا من الوصل التحيّة خُسةً
لنا: هل لذات الوقف بالجزع موقف؟
لنا كلفّ منها بما نتكلف
رقاق الطُّبا والسّمهريّ المُثقف
وأزهرها في ظلّمة الحقد أكلّف
فيومئ طرّف، أو بّان مطرّف¹

ليخلص من ذلك إلى تعداد مناقب ممدوحه، في صورة مزج فيها بين تفرّد محبوبته بجمالها الأسر، وتفرّد ابن عبّاد بكرمه، وجوده، وعظّمته، فيقول:

{ الطويل }

فما قبل من أهوى طوى البدر هودج
ولا قبل " عبّاد " حوى البحر مجلس
ولا ضمّ ريم القفر خدر مسجف
ولا حمل الطود المعظم رفرّف²

فيما يصف ابن شرف رحلة وصوله إلى ممدوحه، وقد تكبد هو وعائلته عناء السفر، وهول مشقته، واحتمل الخوف والإرهاق في سبيل الوصول إلى المعتضد والمثول بين يديه ؛ لمدحه³، فيقول:

{ الطويل }

أجشّهم ليل القفار وظلّمة الـ
فطوراً يغشّهم على ذكرك الكرى
بجارٍ وكم ريعوا وللسير إرخاء
فتصبح أضواء عليهم ولألاء
بكى هو للصم الجلايد إبكاء⁴

ولما كانت المقدمات الغزلية من أكثر المقدمات شيوعاً في قصائد المديح؛ كان لا بدّ لها من تشربّ روح عصرها، باستيعابها قيماً فنية جديدة انتقلت إليها من المشرق، فنرى أن الشعراء مزجوا في قصائدهم بين ما ورثوه من قيم فنية قديمة، وما أحدث إليهم من مقدمات خمريّة،

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 525-528.

² المصدر السابق، ص 529_ 530.

³ ينظر: السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عبّاد، ص 86.

⁴ ابن شرف: الديوان، ص 36.

وأضافوا إليها ما تمثلته بينتهم الأندلسية من ملامح التطور والتجديد¹. ومثال ذلك ما قاله ابن حمديس في مدح المعتمد؛ حيث افتتح قصيدته بمقدمة غزلية وصف فيها عادة حسناء شغفت قلبه، وأخلفت موعده، ثم انتقل إلى وصف الرّاح المعتقه بلونها وأريجها، معرجاً على ما يحفل به مجلسها من ألوان الطرب واللذائذ، ليخلص من ذلك إلى مدح المعتمد بالجود والبأس فيقول:

{ المنسرح }

وبكتُ فالدمعُ في وجنتها	كجمان الطلّ في الورد الندي
ما الذي يبكي بحزنٍ ظبيةً	فَنَكَتْ مَقْلَتَهَا بِالْأَسَدِ
عادةً إن نيط منها موعدٌ	من غدٍ فَرَّ إلى بعد غدٍ
هكذا عندي يجري مَطْلُهَا	بخلافٍ عندها مُطَّرِدٍ
هاتها صفراء ما اخترت لها	أُفُقَ الشَّمْسِ عَلَى أَفُقِ يَدِي
فَلْحُونُ الْعُودِ وَالْكَاسُ لَنَا	وَالنَّدَى وَالْبَأْسُ لِلْمَعْتَمِدِ ²

ويصرح ابن حمديس في موضوع آخر باتباعه نهج أبي نواس (مذهب الحكمي)

واعتماده المقدمة الخمرية سبباً لمدح المعتمد، لدى انتصاره في موقعة الزلاقة، فيقول:

{ الوافر }

خلعتُ على بُيَّاتِ الكرومِ	محاسنَ ما خُلِعْنَ عَلَى الرِّسُومِ
أخذتُ بمذهبِ الحَكَمِيِّ فِيهَا	وكيفَ أَمِيلُ عَنْ غَرَضِ الحَكِيمِ
وما فضلُ الطُّلُولِ عَلَى شَمُولِ	تمجُّ المسكِ فِي نَفْسِ النَّسِيمِ
يُجَدِّدُ حُبَّهَا فِي كُلِّ قَلْبِ	إِذَا صَقَلْتَهُ مِنْ صَدَأِ الهمومِ ³

وتتمزج القصيدة المدحية عند ابن عمّار بأغراض الخمر، والغزل، ووصف الطبيعة، في

أسلوبٍ جامعٍ ينتهي إلى تعدادٍ سجايا ممدوحه من كرم وبسالة ومجد، فيقول:

{ الكامل }

أَدِرِ المَدَامَةَ فَالنَّسِيمُ قَدِ انْبَرَى وَالنَّجْمُ قَدِ صَرَفَ العَنَانَ عَنِ السُّرَى

¹ ينظر: نجا، أشرف محمود: قصيدة المديح في الأندلس، ص 119.

² ابن حمديس : الديوان ، ص 138_ 139.

³ المصدر السابق : ص 435.

والروضُ كالحسنا كساه زهره
أو كالغلام زها بِوردِ خُدوده
روضٌ كأنَّ النَّهرَ فيه معصمٌ
وتهزه ریح الصِّبا فتخاله
عبادُ المخضَّرُ نائلُ كفه
لا خلقَ أقرأ من شفارِ حُسامه
قدَّاحُ زندِ المجدِ لا ينفكُ من
وشياً وقَّده نداءه جَوْهراً
خَجَّلاً وتاهه بِأسِيهنَّ مُعذِّراً
صافٍ أطلَّ على رداءِ أخضراً
سَيفَ ابنِ عبادِ يبددُ عسكراً
والجوُّ قد لبسَ الرِّداءَ الأغبِراً
إن كنتِ شَبَّهتِ المواقِبَ أسطِراً
نارِ الوغى إلَّا إلى نارِ القِرى¹

فيما يستهل أبو عامر بن مسلمة مدحته للقاضي أبي القاسم بوصف الطبيعة، فيربط بين عناصر الطبيعة، وجمال ممدوحه، وكرم راحتيه، فيقول:

{ الطويل }

كأنَّ الرِّياضَ الخُضَرَ صُغْنَ لِباسه
جمالٌ به حلَّ الرِّبيعُ عرارَه
كما تحلَّى الدهرُ من بعد عُطلةٍ
به نيلتِ الآمالُ في كلِّ بغيَّةٍ
بشكَّينِ مِنْ ماءِ الغمامِ وراحه
ومنه كسى لا شكَّ نورَ أفاقه
بجُودِ ابنِ عبادِ وفضلِ سماحه
وبؤشرِ بُردِ الأَمْنِ تحتِ جناحه²

فيستحضر الشاعر الرياض الغناء المتلوتة بنواوير الربيع، وما أضفاه عليها ماء الغمام من جاذبية وسحر ؛ ليسقطه على جمال ممدوحه الذي تفوق على تلك المظاهر بكرمه وفضل سماحته.

وفي موضع آخر يستوحي الشاعر من نسب شقائق النعمان إلى النعمان بن المنذر، جد بني عباد الأكبر ؛ صورة يصوغ منها ما يخلص إلى مدح القاضي أبي القاسم والتغني بطيب أصله، فيقول:

{ البسيط }

إنَّ الشَّقائِقَ من حمر الخدودِ قد
كأنَّها في المروجِ الخُضْرِ آنيةٌ
اشتقت ومسودُّها من حالِك اللِّمَمِ
حمر قد اصطلمت في قانيء الأدم

¹ التلمساني، المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1، ص 655.

² الحميري، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 107.

معروفةٌ باسمه في كلِّ مطّلعٍ محفوظةً المنتمى مرعيّة الذّمم¹

وبالنظر إلى مقدمات قصائد الرثاء، تقف الباحثة على أبيات تنطق بحكمة ووعظاً، فقد كانت قصائد الشعراء في نكبة بني عبّاد ذات نفس شعري حزين، ربط فيه الشعراء بين تقلبات الزّمان، وغدر الدّهر، وسقوط دولة تألقت حضارتها، وسمت في مجدها، وهذا ما يظهر في قول ابن اللبّانة:

{ البسيط }

لكلّ شيءٍ من الأشياءِ ميقاتٌ وللمنى من منائهن غاياتٌ
والدهرُ في صبغة الحرباءِ منغمسٌ ألوانُ حالاته فيها استحالاتٌ
انفض يدك من الدنيا وساكنها فالأرضُ قد أفقرت والناسُ قد ماتوا²

فيجعل الشاعر من سقوط بني عبّاد نهاية لكل مظاهر الحياة، ويطلب من السامع أن يزهّد في الدنيا، وأن ينفض يديه منها؛ فقد انقضى عهد السعادة والمسرات بانقضاء عهد هذه الدولة³.

و كذلك تعكس أبيات ابن زيدون في رثاء المعتضد حكمة وفلسفة فاضت بها قريحته لدى فقدته عزيزاً اختطفته يد الموت، فيخاطب ولي عهده المعتمد، حاثّاً إياه على الصبر والثبات لهذا الحدث الجلل، فيقول:

{ الطويل }

هو الدّهرُ فاصبرِ للذي أحدث الدهرُ فمن شيم الأبرارِ في مثيها الصّبرُ
ستصيرُ صبرَ اليأسِ أو صبرَ حسبةٍ فلا تؤثرُ الوجه الذي معه الوزرُ
حذارك من أن يعقب الرزءُ فتنةً يضيق لها عن مثل إيمانك العذرُ
إذ الموتُ أضحى قصرَ كلِّ معمرٍ فإنّ سوا طالٍ أو قصرَ العمر⁴

¹ الحميري، أبو الوليد: البديع في وصف الربيع، ص 154.

² ابن اللبّانة: الديوان، ص 36.

³ قاسم، فدوى: الرثاء في عصر ملوك الطوائف، ص 148.

⁴ ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 591.

لقد أولى شعراء العهد العبّادي مقدمات قصائدهم جلّ اهتمامهم، وحاولوا الارتقاء بها لتناسب قدر ممدوحهم، وبرعوا في حسن التخلّص إلى غرضهم ؛ لاستمالة الممدوح، واستدرار جوده وعطاياه، واستلهموا من مقومات الصناعة الشعرية ما يضمن لشعرهم القبول والرواج¹، "وحسن التخلّص أن يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب مثلاً إلى المدح أو غيره بلطف مع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول، إلا وقد وقع في الثاني ؛ لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينها، وكأنهما قد أُفرغا في قالب واحد"².

ثانياً: المطلع :

عنيّ النقادُ العرب بمطلع القصيدة عناية فائقة، فطالبوا الشعراء أن يبذلوا غاية الجهد في إجادته وإتقانه ؛ لما له من قوة الأثر في النفس، وما يحدثه في دفع السامع إلى التنبيه والإصغاء³، وقد اتفق علماء البديع على " أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة... وطرق السهولة..⁴؛ ولذا أولى الشعراء مطالعهم عناية تدلّ على براعة وإبداع، وبلغ كثير منهم في ذلك مقاماً محموداً ، فكانت مطالعهم واضحة، سهلة المأخذ، لا تعقيد فيها ولا صعوبة⁵.

و من الشعراء الأندلسيين من عمد إلى الولوج المباشر إلى الأغراض الشعرية دون اللجوء إلى مقدمات تقليدية، ولا سيّما تلك القصائد التي تحدّثت عن بسالة ممدوحهم، أو تهنئتهم بنصر أحرزوه، ففي قصيدة نظمها ابن زيدون في تهنئة المعتمد بانتصاره على المظفر بن الأفتس، يقول:

{ الطويل }

لِيَهْنَ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعِيكَ فِي الْعِدَا وَأَنْ رَاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكِ وَاعْتَدَى
وَنَهْجُكَ سُبُلَ الرُّشْدِ فِي قَمْعٍ مِنْ غَوَى وَعَدْلُكَ فِي اسْتِصَالٍ مِنْ جَارٍ وَاعْتَدَى

¹ ينظر: نجا، أشرف محمود ، قصيدة المديح في الأندلس ، ص 172 _ 173 .

² بدوي ، أحمد : أسس النقد الأدبي عند العرب ، نهضة مصر للطباعة والتوزيع ، 1994 م ، ص 308.

³ ينظر: المرجع السابق ، ص 297.

⁴ الحموي ، ابن حجّة : خزائن الأدب وغاية الأرب ، الطبعة الأخيرة ، دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، 2004 م ،

م 1 ، ص 19 .

⁵ بنظر: بدوي، أحمد: أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص 297 .

وَأَصْبَحَ مِنْ عَادِكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى وَأَنْ بَاتَ مَنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغِنَى
وَلَمْ تَكُ كَالدَّاعِي يَجَاوِبُهُ الصَّدَى¹ دَعَوْتَ فَقَالَ النَّصْرُ: "لِيَبِيكَ" مَائِلًا

وقد مدح المعتمد بن عباد أباه المعتضد دون أن يمهد لقصيدته بأيّ مقدمات، فقال:

{ الطويل }

أَلَا يَا مَلِيكَ ظَلَّ فِي الْخَطْبِ مَفْزَعًا وَيَا وَاحِدًا قَدْ فَاقَ ذَا الْخَلْقِ أَجْمَعًا
تَرْفَقُ بِعَبْدٍ وَدُهُ لَكَ شَيْمَةٌ إِذَا كَانَ وَدَّ مِنْ سِوَاهُ تَصْنَعًا²

ويبتهج ابن حمديس لدى انتصار المعتمد، فيُلقي في مدحه قصيدة يبدؤها بذكر خصال

ممدوحه، والحديث عن شمائله، فيقول:

{ البسيط }

جَلَا مُحْيَاكَ عَنْ أَبْصَارِنَا الرَّمْدَا وَقَرَّبَ اللَّهُ مِنْ مَرَاكَ مَا بَعْدَا
وَجَاءَ يَحْمِلُ مِنْكَ الطَّرْفُ أَرْبَعَةً الْبَدْرَ وَالطُّوْدَ وَالذَّمَامَ³
ظُبَاكَ بِالرَّدِّ عَنْ دَيْنِ الْهُدَى انْفَرَدَتْ وَالْأَسَانِدَا
وَأَنْتَ مَا زِلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُنْفَرِدًا⁴

ويقول ممجداً قدر المعتمد، مشيداً بشجاعته، مفتخراً بالفتح الذي أحرزه الله على يديه:

{ الكامل }

فِي كُنْهِ قَدْرِكَ لِلْعُقُولِ تَحْيِرُ فَلِذَلِكَ عَنْهُ النَّيِّرَاتُ تُقْصِرُ
وَالْوَاصِفُونَ عُلَاكَ مِنْهَا قَرَّبُوا مَا تَرَجَمُوا لِلنَّاسِ عَنْهُ وَعَبَّرُوا
وَالْفَتْحُ مِنْ فَضْلِ الْإِلَهِ وَيَوْمُهُ مَتَقَدِّمٌ بِالنَّصْرِ أَوْ مَتَأَخَّرُ⁵

ولابن عبدون قولٌ في مدح المعتمد، يعرِّج فيه على حمد سجاياه، وتعداد مكارمه، فيقول:

{ الكامل }

إِنَّ الْمَمَالِكَ وَالسُّيُوفَ سُهَوْدُ لَكُمْ إِمَاءٌ وَالْمَلُوكَ عَيْدُ
شَامَتِكُمْ فِي الْمَكْرَمَاتِ عَزَائِمُ جَارٍ عَلَى أَحْكَامِهَا التَّأْيِيدُ

¹ ابن زيدون، ديوانه ورسائله، ص 516_517.

² المعتمد بن عباد: الديوان، ص 41.

³ الدماء: البحر.

⁴ ابن حمديس: الديوان، ص 170.

⁵ المصدر السابق: ص 194.

وعلاً نشّان مع النجوم وقبلها ولهنّ من بعد النجوم خلوداً¹

ويرتجل ابن زيدون قصيدة لا يلجأ فيها إلى مقدّمة تمهّد لغرضه، فتراه يعمد إلى تهنئة ممدوحه في شفاثه من مرضٍ ألمّ به، فيقول:

{مجزوء الكامل}

أَحْمَدَتْ عَاقِبَةَ الدَّوَاءِ وَتَلَّتْهُ عَافِيَةُ الشِّفَاءِ
وخرجّت منه مثمّلاً خَرَجَ الحُسَامُ مِنَ الجَلَاءِ
وبقيتَ للدينا فأنّ ست دواؤها من كلِّ داءٍ²

على أنّ الدخول المباشر في غرض القصيدة لم يكن مقتصراً على قصيدة المديح فحسب؛ فقد عبّر الشعراء عن مناقب ملوكهم لدى رثائهم دون مقدّمات، ومثال ذلك ما قاله لسان الدّين بن الخطيب في رثاء المعتمد ساعة وقوفه أمام قبره:

{ البسيط }

قد زرتُ قبرك عن طوعٍ بأغماتٍ رأيتُ ذاك من أولى المهمّاتِ
لم لا أزورك يا أئدى الملوكِ يدًا ويا سراجَ الليالي المُدلّهاتِ³
وقول ابن عبد الصّمد في ذات الموقف :

{ الكامل }

ملك الملوك، أسامعٌ فأنادي أم قد عدتكَ عن السّماعِ عوادي
لما خلتُ منك القصورُ فلم تُكنْ فيها كما قد كنتَ في الأعيادِ
قبّلتُ في هذا الثّرى لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضعَ الإنشادِ⁴

وقد تناسبت المطالع السابقة مع بغية الشاعر، وطبيعة الغرض الذي نظم فيه ؛ فالإشادة بالانتصار في فتح حصنٍ أو الإياب من غزوة، وما قيل في التهنئة عموماً، وما تحويه قصائد

¹ ابن عبدون : الديوان ، ص 123 .

² ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 541 .

³ ينظر: التلمساني ، المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج4 ، ص 98 .

⁴ المصدر السابق ، ج4 ، ص 224 .

الرتاء من معانٍ حزينة، لا يستدعي الوقوف على ظلال أو الافتتاح بنسيبٍ أو غزل، فللحدث نفسه دورٌ في جذب السامعين، وإثارة اهتمامهم¹.

ثالثاً: حسن الانتهاء :

حظيت خاتمة القصيدة باهتمام النقاد القدماء، فقد أولوها عناية لا تقلّ عن المطلع وحسن التخلص، وأوجبوا على الشعراء اعتناءهم بها؛ لأنها قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى في السمع، وهي الألق بالأنفس؛ لقرب العهد بها، فإذا حسنتُ حسنُ الكلام، وإذا قبحت فإنه يقبح، فهي قفل الشعر وخاتمة القول².

ويرى صاحب الصناعتين أنّ آخر بيتٍ في القصيدة " ينبغي أن يكون أجود بيت فيها، وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها"³، وقد حرص الشعراء الأندلسيون في عهد بني عبّاد على تحسين نهايات مدائحهم، فاختموها بما يثير انفعال المتلقي، وبهزّ أريحته وجوده، ولم يغفل الشعراء ما لخاتمة القصيدة من دورٍ في تحقيق ما رموا إليه في مدائحهم؛ فهي آخر ما يصحب الممدوح، ويلق بخاطره، وعلى أثرها يحدد موقفه من الشاعر⁴.

ولذا اختتم الشعراء قصائدهم بالدعاء الممزوج بالاعتراف بفضل الممدوح وكرمه، والتغني بخصاله، فهذا ابن زيدون يدعو للمعتضد بالحظّ الوافر، والسعادة الدائمة، وأن يكون النصر جاره وحليفه، فالدهر نفسه يعترف بأنّه مصدر النعيم وسبب صفاء العيش، ومبعث السعادة، فيقول:

{ الكامل }

لا تَعْدَمَنَّ الحَظَّ غَرَسًا مُطْلَعًا	ثَمَرَ الفَوَائِدِ دَانِيًا لَجْنَاكَ
وَالنَّصْرَ جَارًا لَا يَحَاوِلُ نَقْلَةً	وَالصُّنْعَ رَهْنًا لَا يَرِيدُ فَكَاكَ
وَإِذَا غَمَامُ السَّعْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ	دَرْكُ المَطَالِبِ فَلْيَصِلْ سُقْيَاكَ

¹ ينظر: نجا، أشرف محمود: قصيدة المديح في الأندلس، ص 180.

² ينظر: القيرواني، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج1، ص 217_239.

³ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين، تح، علي محمد البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952م، ص 443.

⁴ ينظر: نجا، أشرف محمود: قصيدة المديح في الأندلس، ص 187.

فالدَّهرُ معترفٌ بأنَّ لم نكن نُنسَرُ منه يساعةٍ لولا كما¹

فيما يقدّم ابن حمديس الملوك فداءً للمعتمد، ويدعو له بدوام العز و السيادة ، فيقول:

{ السريع }

أيّ الملوك لك الفداء، وقد
دامت لك الدنيا ودّمت لها
صيرت جلتها من الخول
وأقام سيفك كلّ ذي ميل²

وقد يختتم الشعراء قصائدهم بطلب الحماية والعفو، فتراهم يؤكدون على استسلامهم للملك، وانقيادهم لسياسته، بل لعلهم وجدوا في لفظ " العبودية " ما يوافق تحقيق مبتغاهم من ممدوحهم، ومثال ذلك ما قاله ابن حمديس في المعتمد، معتمداً على معاني الشكوى ، وبيان ضعف الحال:

{ الخفيف }

وأنا حيث سرتُ أكلُ رزقي
كلّما مرّ منه وقتٌ بريحٍ
يا رفيقاً بعبده ومحيطاً
ملّ بقلبي إلى صلاحٍ فسادي
غير أن الزّمان يأكل عمري
من حياتي وجدتُ في الرّيحِ خسري
علمُهُ باختلافِ سرّي وجهري
منه واجبرُ برأفةٍ منك كسري
وتناجت به وسأوسُ فكري³

ويرى ابن زيدون أيضاً في امتلاك المعتمد رقّه، مبعث سناه وشرفه و غاية مأربه، فيقول:

{ الطويل }

وكمّ نعمةٍ ألبستُها سُندُسيّةً
مواهبُ فيّاضِ اليدينِ كأنّما
أسرّبُها في كلّ حينٍ وألحفُ
من المِزْنِ تُمرى أو من البحرِ تُغرّفُ
فأرفعُ أحوالي، وأسُنّي، وأشرفُ⁴

فيما يؤكّد ابن وهبون في خاتمة قصيدة له صدق عاطفته تجاه ممدوحه، فيقول:

¹ ابن زيدون: ديوانه ورسائله ، ص 500 ، و ص 515 .

² ابن حمديس: الديوان ، ص 374 .

³ المصدر السابق ، ص 266.

⁴ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 538.

{ الوافر }

ولم أحمل وداكم ادعاءً ولا أظهرت مدحكُم انتحالاً¹
ويتمثل ابن عمار القمر المنير، والبحر الزاخر ليختم قصيدة يأتي فيها على ذكر محاسن المعتمد،
فيقول:

{ المتقارب }

هنيئاً فأنتَ مليكُ الملوكِ فقد صرَّحَ الجُدُّ للمازحِ
وما أخرتني عنك النجومُ يا غرَّةَ القمرِ اللابحِ
ولا النهرُ لم يثنني عن ورودِ ندى بحركِ الزَّاخرِ الطافحِ²
فيما يعكس ابن اللبانة ما تعاور على نفسه من مشاعر البؤس والحزن لدى فقد المعتمد
على مظاهر الطبيعة، فيختتم قصيدة يرثي فيها الملك بقوله:

{ الطويل }

ومزق ثوبُ البرقِ واكتستِ الدجى حداداً وقامت أنجم الليلِ مأتما
وما حلَّ بدرُ الهمِّ بعدك دارةً ولا أظهرت شمسُ الظَّهيرةِ مَبَسَماً
قضى الله أن حطوك عن ظهر أشقرِ أشمَّ وأن أمطوك أشامَ أدهمًا³

¹ ينظر: الشنتريني، ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق2 م 1 ، ص 511 .

² ينظر: المصدر السابق ، ق2 م 1 ، ص 386 .

³ ابن اللبانة : الديوان ، ص 126_ 127 .

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب الشعري

أولاً : اللغة الشعرية :

أثارت اللغة الشعرية اهتمام النقاد؛ بوصفها أداة الشاعر ومادته التي يطوعها لخدمة أفكاره وصياغة أفكاره للتعبير عن حاجاته الفكرية والروحية¹، وهي حلقة الوصل بينه وبين المتلقي ولذا لا بدّ للشاعر من تخير لفظه، وإصابة معناه، وتجويد مقاطعه، والاعتناء بمطالع كلامه وأواخره، مع توخي السلاسة والسهولة، والسعي إلى كمال الصياغة والتركيب².

فاللفظ والمعنى جسد وروح، يرتبط أحدهما بالآخر فيضعف بضعفه، ويقوى بقوته، وهما ركنَا الأدب، وبهما يمتلك الشاعر قلب المتلقي، ويستأثر بحواسه³.

" فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة، والسهولة والرصانة، مع السلاسة والنصاعة، اشتمل على الرونق والطلاوة، وسلم من حيث التأليف، وبعد عن سماجة التركيب، وورد على الفهم الثاقب، قبله ولم يرُدّه، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يَمُجّه، والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلقُ من الجاسي البشع " ⁴.

وهذا ما عمد إليه شعراء ملوك بني عبّاد ، فقد بذلوا وسعهم لإرضاء ممدوحهم، فتخيروا ألفاظهم، وانتقوا معانيهم، وابتعدوا عما يسبب لقصائدهم الضعف والوهن، ولا سيّما أنها كانت تُلقَى في حضرة ملوك بَصْرُوا بالشعر وخبروا فنونه، وتمتعوا بحسّ نقدي حاذق. ف جاءت تلك القصائد موافقة لما اتفق عليه النقاد، واتصفت بالسلاسة والعذوبة، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى، وتميزت بالبساطة وتجنب التعقيد.

واستخدم الشعراء الألفاظ التي توحى بأغراضهم الشعرية، وتصل إلى بغيتهم من ممدوحهم، فإذا مدحوا ملوكهم بالكرم والجود استخدموا ألفاظاً تدل على الكثرة والانهمار، "

¹ ينظر: ويليك ، رينيه / وارين ، أوستن : نظرية الأدب ، ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 1981م، ص 22 .

² ينظر: العسكري، أبو هلال : الصناعتين ، ص 55 .

³ ينظر: القيرواني ، ابن رشيق : العمدة ، ج 1 ، ص 124 . و بدوي ، أحمد : أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص 363.

⁴ العسكري، أبو هلال : الصناعتين ، ص 57 .

كالبجر والطل، والوابل، والأيادي، والفضل، والزاد " ومثال ذلك قول أبي بكر بن نصر يمدح القاضي بن عبّاد:

{ الطويل }

لِيَعْتَمِدَ الْوَرَادُ بَحْرَ يَمِينِهِ فَذَلِكَ بَحْرٌ طَامِحُ الْمَوْجِ مُزْبِدُهُ¹

وقول ابن شرف في وصف المعتضد:

{ الكامل }

وَأَرِيَّتَهُ بَحْرًا يُفَاخِرُ قَعْرَهُ بِأَلْيِّ فِيهِ بِلا أَصْدَافٍ²

وقول ابن زيدون متمثلاً الغيم والندى في مدحه :

{ الوافر }

فَمَا اسْتَسْقَيْتُ مِنْ غَيْمِ جَهَامٍ وَلَا اسْتَوْرَيْتُ مِنْ زَنْدِ شَحَاحٍ
وَوَاصَلَنِي جَمِيئُكَ فِي مَغِيبِي وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ انْتِرَاحِي³

أمّا القصائد التي أشاد بها الشعراء ببسالة ومدوحهم، وثباتهم وجلدهم في المعارك عمدوا إلى استخدام ألفاظ توحى بمعاني القوة والشجاعة، مثل: الأسد الضواري، والأسنة البواتر، والجحيم المسعرة، ومثال ذلك قول ابن حمديس في مدح المعتمد:

{ البسيط }

يَا مُرْوِيَّ الرَّمْحِ وَالْأَرْمَاحِ ظَامِيَّةً مِنَ الْأَسْوَدِ الضَّوَارِيِّ بِالْهَدْرِ
إِذَا التَّظَّتْ شُعْلُ الْأَرْمَاحِ وَانْغَمَسَتْ مِنَ الدَّرُوعِ عَلَى الْأَرْوَاحِ فِي غَدْرِ⁴

وقول ابن زيدون:

{ الطويل }

جَحِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ وَجَنَّةٌ عَدْنٌ لِلْمَطِيعِينَ تُزَكِّفُ⁵

¹ الحميري ، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 57 .

² ابن شرف : الديوان ، ص 74 .

³ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 493 .

⁴ ابن حمديس : الديوان ، ص 207 .

⁵ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 532 .

ويجعل الشعراء من " الظبي، والقنا، والرماح، والسيوف " دليلاً على إقدام ممدوحهم وبطولتهم في ساحة الوغى، كقول ابن الأَبَّار في المعتضد:

{ المتقارب }

تَوَسُّطَ عَبَّادِ الْمُرْتَجَى نَظَى الضَّرْبِ وَالْحَرْبِ إِذْ تَوَقَّدُ
هُمَامٌ إِذَا هَمَّ أَضْحَتْ لَهُ مُتُونُ الظُّبَى وَالْقَنَا تَرْتَعَدُ¹

وكقول ابن عمَّار في مدح قوة المعتضد :

{ الكامل }

مَاضٍ وَصَدْرُ الرَّمْحِ يَكْهَمُ وَالظُّبَا تَنَبُّوْا وَيَدِي الْخَيْلِ تَعْشَرُ فِي الثَّرَى
قَادِ الْكَتَائِبِ كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ مِنْ لَأْمِهِمْ مِثْلُ السَّحَابِ كَنَهْوَرَا
مَنْ كَلَّ أَبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أَيْضًا غَضَبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرَ²

ويرى الشعراء في استخدام ألفاظ المجد والعلواء والسؤدد، ما يؤكد منزلة ممدوحهم، ويرفع شأنه، فيقول أبو عامر بن مسلمة في المعتضد:

{ السريع }

إِذَا رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلِيَّاهُ مَفْوَّةً مَقْتَدِرًا أُخْرِسَا³

ويقول ابن اللبانة في المعتمد:

{ البسيط }

يَا وَارِثَ الْمَجْدِ عَنِ شَمِّ غُضَارِفَةٍ بِهِمْ أَنْوْفُ الْخَطُوبِ الشَّمِّ تَجْتَدِعُ
إِنْ كَانَ مَجْدُكَ شَعْرًا فِي نَفَاسَتِهِ فَإِنَّمَا أَنْتَ بَيْتٌ فِيهِ مُخْتَرَعٌ⁴

¹ الحميري ، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 146 .

² التلمساني، المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 1، ص 655_ 656 .

³ المصدر السابق ، ج 3، ص 273 .

⁴ ابن اللبانة ، الديوان ، ص 92.

وقد احتوت قصائد الرثاء على كلمات تعبر عن لوعة الشعراء وتفجّعهم على فقد ملوكٍ
أعزّهم الزمانُ ثمّ جار عليهم، فباتوا ضحية جورهِ وتقلُّبهِ، فيصف ابن اللبّانة بحزنٍ شديدٍ شعوره؛
لدى نقل المعتمد إلى سجن أغمات :

{ الطويل }

معاهدٌ لبتَ أني قبل فرقتها قد متّ والتاركوها لبتهم ماتوا
فجعت منها بإخوان ذوي ثقةٍ فاتوا وللدّهْر في الإخوان آفات¹

ويقول في موضع آخر واصفاً ديارهم بعد رحيلهم عنها، ويعقد مقارنة بين ماضيها
الزاهر وحاضرها المقفر المجذب:

{ البسيط }

كانوا الملوك ملوك الأرض فانصرفوا وما لهم حومةً فيها ولا نادٍ
تبدلوا السجن بعد القصر منزلةً وأحدقوا بلصوص عَوْضَ أجنادٍ
وأنزلوا عن متون الشهب واحتلموا فريقَ دهمٍ لتلك الخيل أندادٍ
تفرقوا أجزاءً من بعدما نشأوا أهلاً بأهلٍ وأولاداً بأولادٍ
مَنْ لي بكم يا بني ماء السماء إذا ماء السماء أباي سقيا الحشى الصادي²

ثانياً : الأسلوب الشعري :

يُعرف الأسلوب الشعري بأنه " الطريقة الخالصة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره، ويبيّن
ما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات"³، وقد تعددت أساليب شعراء العهد العبّادي في
الكشف عن صورة ملوكهم، واختلفت باختلاف ثقافتهم، ومعارفهم. ومن الأمثلة على هذه
الأساليب :

¹ ابن اللبّانة : الديوان ، ص 40 .

² المصدر السابق : ص 60_61 .

³ بدوي ، أحمد : أسس النقد الأدبي عند العرب ، ص 451 .

1- التناص :

يقوم التناص على إجراء علاقة تداخلٍ وتجاوزٍ بين النصوص، فيتفاعل النص المنتج مع نصوص سابقة أو معاشية له، بمعنى أنه تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة¹، فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدّمهم، والصبّ على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى " 2 ؛ لإنتاج نص جديد يعكس ثقافة الشاعر، وقدرته الإبداعية. وقد وظّف شعراء بني عبّاد التناص في قصائدهم بما يناسب أغراضهم الشعرية التي قصدوا من خلالها بيان منزلة ملوكهم، وإعلاء شأنهم، والتأكيد على رفعة مكانتهم. وكان للتناص الديني والتاريخي حضور بارز في شعرهم، وقد وقفت الباحثة على الأمثلة الآتية:

أ - التناص الديني :

ارتكز التناص الديني عند الشعراء الأندلسيين على اقتباس آيات قرآنية، أو تضمين ألفاظ دينية، كما عمد الشعراء إلى استحضار شخصيات دينية تسمو بممدوحهم، وترفع قدره، ومثال ذلك قول ابن حمديس:

{ الوافر }

فَصَلِّ لِرَبِّكَ الْمَعْبُودِ وَانْحَرِ قُرُومًا مِنْهُمْ بَعْدَ الْقُرُومِ
وَعَيِّدْ بِالْهَدَى وَأَعِدْ عَلَيْهِمْ عَذَابَ الْحَرْبِ بِالْأَلَمِ الْأَلِيمِ³

حيث يوظف الشاعر قوله تعالى من سورة الكوثر: " فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ "⁴ في سياق يصف قدرة ممدوحه على الفتك بالأعداء، فهو يطلب من المتعمد أن ينحر أعداءه كما تُنحر الأضاحي وأن يذيقهم من العذاب أشدّه.

¹ مفتاح ، محمد : تحليل التناص الشعري ، ط 3 ، الدار البيضاء ، 1992 م ، ص 121 .

² العسكري ، أبو هلال : الصناعتين ، ص 196 .

³ ابن حمديس : الديوان ، ص 438 .

⁴ سورة الكوثر : الآية 2

وفي موضع آخر يصف قوة المعتمد بالريح الصرصر العاتية التي أبادت قوم عاد، مقتبساً قوله تعالى : " وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ " ¹ ، فيقول:

{ الوافر }

ولما أن أتاك بـقوم عادٍ أتيت بصرصرِ الرِّيحِ العَقيمِ ²

وفي معرض تضمين الألفاظ الدينية ، تجد الباحثة أن الشعراء وظفوا في قصائدهم ألفاظاً ذات بعد ديني، تُفضي إلى تعظيم شأن الملك، ومثال ذلك قول ابن اللبانة:

{ الخفيف }

أنت للفضل كعبةٌ ولو أني كنت أستطيع لالتزمت الطوافاً ³

حيث يشبه الشاعر فضل الممدوح بالكعبة، التي يتمنى أن يستطيع التزام الطواف فيها، بمعنى أن الشاعر ينشد فضل ممدوحه دون انقطاع .

و هذا قول ابن زيدون في استحضار لفظ القبلة :

{ الطويل }

أليسَ بنو عبّادٍ القبلةَ التي عليها لآمالِ البريةِ معكفٌ ⁴

فجعل الشاعر من بني عبّاد ، قبلةً يتجه إليها الناس ؛ طمعاً في تلبية آمالهم، تماماً كالبيت الحرام الذي يُحجُّ إليه في كل عام.

و قد غدا الثناء على الملك سورة قرآنية يرتلها الشاعر على لسانه، ويلزمها الخلو من

التحريف والتبديل، فيقول:

{ الكامل }

قد قلتُ للتالي ثناءكَ سُورةً ما للورى في نصّها إحداءُ :

"أعد الحديث عن السيادة، إنّه ليس الحديث يُمل حين يُعاد...⁵"

¹ سورة الحاقة : الآية 6

² ابن حمديس : الديوان ، ص 438 .

³ ابن اللبانة : الديوان ، ص 94 .

⁴ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 533 .

⁵ المصدر السابق : ص 513 .

وقد وجد الشعراء في استلهام بعض الشخصيات الدينية ما يمكنهم من اثبات صفة تميز ممدوحهم، ومن ذلك قول أبي الحسن البغدادي متمثلاً شخصية سليمان عليه السلام في اتساع ملكه وعظمة سطوته ليوازيها بشخصية المعتمد:

{المتقارب}

أنت سليمان في ملكه وبين يديك أنا الهدد¹

و كما في قول ابن حمديس واصفاً دار المعتمد ، وموظفاً شخصية موسى عليه السلام في مدحته:

{ الطويل }

ويا حبذا دار يد الله مسحت عليها بتجديد البقاء فما تبلى
مقدسة لو أن موسى كلمه مشى قدماً في أرضها خلع النعلا²

حيث يخلع الشاعر على دار المعتمد لفظ القداسة ؛ ليشبهها بالواد المقدس الذي خلع فيه موسى عليه السلام نعليه .

ويدعو ابن اللبانة للمعتمد بالخالص من سجنه و النجاة من هذه الكارثة التي حلت به والإيواء من كل شر يصيبه ، مستحضراً في ذلك شخصيتي يوسف والمسيح عليهما السلام، فيقول:

{ الطويل }

يُنجيك من نجى من الجب يوسفًا ويؤويك من آوى المسيح بن مريما³

ويتفاعل الشاعر باسم المعتمد بن عباد، (محمد) ليجعله سبباً في الظفر والنصر، والذود عن دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول :

¹ التلمساني ، المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج3 ، ص 199 .

² ابن حمديس: الديوان ، ص 378 .

³ ابن اللبانة : الديوان ، ص 127 .

{ الكامل }

الآن أفرخ روع كل مهيد وأعز دين محمد بمحمد¹

ويستحضر ابن عمّار لفظ رسول الله؛ ليُعَلِّي منزلة مليكه، موازياً بين مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل هاشم ، وبين منزلة مليكه من لخم وساداتها ، فيقول:

{ الطويل }

تبوا من لخم وناهيك مقعداً مكان رسول الله من آل هاشم²

ويربط الشاعر بين الملكين هاروت وماروت وماتعلماه من السحر ، و روعة جمال المعتمد ؛ ليُغَلِّب جمال ممدوحه ، ويحيل هاروت وماروت إلى عاشقين أوقعهما الملك بحبائله، فيقول:

{ الطويل }

ولو شام هاروت وماروت طرفه لما أصبحا إلا قنيصي حبائله³

ويوازي ابن شرف القيرواني بين هيبه المعتمد وهيبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و بين تواضعه و تواضع علي رضي الله عنه ، فيقول:

{ الطويل }

فإن أفحمتنا هيبه عمريه
لديك لها في الشعر كسر وإقواء
بذلت انبساطنا لنا علوية
لها بعد مومات المهامه أفياء⁴

ب- التناص التاريخي :

يدور استخدام الشعراء للتناص التاريخي حول استلهاهم شخصيات امتازت بالمجد والرفعة، فقد تفوق مجد بني عبّاد على مجد قحطان وعدنان، وأخضع لعزّه الملوك العظماء كيونان وساسان، وفي هذا يقول أبو بكر بن الملح:

¹ ابن حمديس : الديوان ، ص 172 .

² الشنتريني، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1، ص 376 .

³ ابن حمديس : الديوان ، ص 369 .

⁴ ابن شرف : الديوان ، ص 36 .

{ البسيط }

تاهت بمجدك قحطان وعدنان¹ وقد تخاضع يونان وساسان¹

ويرى ابن زيدون في شخص ممدوحه المنذرين الأكبر والأصغر؛ ليثبت انتماء الملك إلى سلالة الملوك الأمجاد، فيقول:

{ الكامل }

إني رأيت "المنذرين" كليهما في كون ملك لم يحنه فساد²

وفي استحضار الشاعر لشخصية النعمان بن منذر دليل على عراقه أصل الممدوح، وتفوق نسبه، فيقول:

{ الكامل }

وأتى بي النعمان يوم نجم تلقى سعدة الميلا
نعيمة

أهل المناذرة الذين هم الربا فوق الملوك إذ، لمؤك وهاد³

وقول أبي بكر بن الملح:

{ الكامل }

ثبتوا على الأصل القديم فأثبتوا نسب الكواكب في قبائل حمير⁴

ويرى ابن عمار أن كرم المعتمد يغلب كرم حاتم الطائي، فيقول:

{ الطويل }

إذا نشرت لخم بذكراه فخرها طوت طيء من خجلة ذكر حاتم⁵

ويوظف الشاعر شخصية كسرى؛ ليغلب ملك المعتمد على ملك فارس، ويجعله متفرداً لا مثيل له فيقول:

¹ ينظر: الشنتريني، ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2 م 1، ص 463.

² ابن زيدون: ديوانه ورسائله، ص 506.

³ المصدر السابق، ص 507 _ 508.

⁴ الشنتريني: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق 2 م 1، ص 457.

⁵ المصدر السابق، ق 2 م 1، ص 376.

{ الطويل }

وأعلت بها في رتبة الملك نادياً وقل له فوق السماكين أن يُعَلَى
نسيته به إيوان كسرى لأنه أراني له مولى من الفضل لا مثلاً¹

أما في قصيدة الرثاء فقد استحضر ابن اللبانة سقوط الدولة العباسية في بغداد؛ ليجعلهم أسوة لسقوط الدولة العبادية في إشبيلية؛ و ليصرف عنهم قول الشماتة والحسد، فيقول:

{ البسيط }

وأسوة لهم في غيرهم حسنت فما شَمَاتَةٌ أَعْدَاءٍ وَحُسَّادٍ
إن يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا وقد خلت قبل حمص أرض بغداد²

وفي موضع آخر يقارن الشاعر بين ما آل إليه حال بني عبّاد من ذل، وما كانوا عليه من مرتبة سابقة تضاهي مرتبتي عاد وشداد، فيقول:

{ البسيط }

ذلوا وكانت لهم في العز مرتبة تحط مرتبتي عادٍ وشداد³

2- التكرار :

يعدُّ التكرار من الأساليب الشعرية التي ظهرت عند الشعراء الأندلسيين؛ لتأكيد وصف ملوكهم ، والأشادة بمدحهم وتفخيم منزلتهم في الأسماع والقلوب⁴.
" فالتكرار يضع في يد المتلقي مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، ومن ثم يغدو بمثابة الضوء الذي يسلطه الشاعر على الأعماق؛ كي يسهل الاطلاع على خباياها، وعلى اللاشعور الكامن لها " ⁵.

وقد استخدم الشعراء الأندلسيون التكرار بألفاظهم ومعانيهم ؛ لإقناع مدوحهم بصدق عاطفتهم، وحسن نواياهم، ومثال ذلك قول ابن زيدون:

¹ ابن حمديس : الديوان ، ص 378 .

² ابن اللبانة : الديوان ، ص 59 .

³ المصدر السابق ، ص 59 .

⁴ ينظر: القيرواني، ابن رشيق : العمدة ، ص 74 .

⁵ عبد الرحيم : راند ، فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي ، دار الرازي ، عمان ، 2003م ، ص 343 .

{ الكامل }

مهما مَتَدَحْتُ سِوَاكَ قَبْلُ فَإِنَّمَا مَدَحِي إِلَى مَدَحِي لَكَ اسْتِطْرَادًا¹

حيث يكرر الشاعر لفظة " مدح " ؛ ليبلغ ممدوحه ، بأن ما قاله في غيره من الملوك ليس سوى استطراد ومران للوصول إلى مدحه ، فهذه التجارب السابقة في مدح غيره من الملوك أهلتها ؛ ليكون قادراً على مدح المعتمد الذي هو هدف الشاعر الرئيس .
وترى عبد الجليل بن وهبون يكرر لفظة (كل) ؛ ليبرر انتشاء كل ما يحيط بالمعتمد من مظاهر طبيعية، وما يتركه الملك من أثر فيها، فيقول:

{ الطويل }

كما ضاعَ من أهدابِ ثوبِكَ نَشْرُهُ وكلَّ صعيدٍ مسَّ وطوَّكَ طَيْبُ
وكلُّ هواءٍ تحتَ ظِلِّكَ سَجَسَجَ وكلُّ مكانٍ في ذراكِ خَصِيبُ
كأنَّكَ من طبعِ الحياةِ مرَّكَبٌ فأنتِ إلى كلِّ النفوسِ حبيب²

ويكرر حسان بن المصيصي (كم الخبرية) ليعرض حال ممدوحه في السلم والحرب، فتتعدد أساليب المعتمد في السلم فيبدو بوجه حيي، لطيف، رطب الكلام، فيما يظهر في الحرب بوجه عبوس شديد، وهذا دليل على قدرة الملك على التكيف مع كل ظرف يجد على بلاده فهو سلّم وسلام لأوليائه ، و حرب قاسية على أعدائه ، فيقول:

{ المتقارب }

وكم لك في السلم وجهٌ حييٌّ وكم لك في الحرب وجهٌ وقاح³

وفي تكرار صيغة الأمر يقول عبد الجليل بن وهبون مؤكداً على شجاعة ممدوحه ، فيقول:

{ البسيط }

سَلِّ المكارِمَ عنه كيفَ تَعَلَّمُهُ أولاً فسَلِّ شَفَرَاتِ البِيضِ والأَسَلِ⁴

1 ابن زيدون : ديوانه و رسائله ، ص 514 .

2 الشنتريني: ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق2 م 1 ، ص 518 .

3 المصدر السابق ، ق2م 1 ، ص 444 .

4 المصدر السابق ، ق2م 1 ، ص 515 .

في حين يكرر ابن زيدون صيغة " أفعل " التي تدل على المفاضلة ؛ ليؤكد تفوق
ممدوحه على سواه :

{ الوافر }

رآه اللهُ أجودَ بالعطايا
وأفرسَ للمنابرِ و المذاكي
وأطعنَ بالمكايِدِ و الرّماحِ
وأبهى في البرودِ وفي السّلاحِ
وأمنعهم حمى عِرْضِ مَصُونٍ
وأوسّعهم ذراً مالٍ مُباحٍ¹

ويكرر ابن اللبانة صيغَ الاستفهام متسائلاً عن مجد ملوك بني عبّاد الزائل ، فيقول في
معرض رثائهم ، وبكاء دولتهم :

{ البسيط }

وأينَ ألقاكم في الروعِ من فئّة
وأينَ معتمدٌ، نعمى يقسمها
وأينَ يوضح لي هدي الرشيد ضحي
وأينَ لي كنف المعتدّ منزلةً
مُدرّبين على الهيجاءِ أنجادُ
مرعى وماءً لزوار ورواد
أجلو به في ظلام الغيِّ إرشادي
على احتفال من النعمى وإعداد²

¹ ابن زيدون : ديوانه و رسائله ، ص 490 .

² ابن اللبانة : الديوان ، ص 61_ 63 .

المبحث الثالث: البناء الفني

تهض الصورة الفنيّة على أساليب بلاغية عدّة ، الهدف منها تدبيح النص وإخراجه في حلية تزيد من رونقه، وتعزز وضوحه لدى السامع، فتكشف عن عالم الشاعر، ومكوناته الإبداعية، وقدراته البلاغية، التي يوظفها في خدمة النص، ونيل إعجاب السامع، وسواء أكان الهدف من هذه الأساليب البلاغية ، الإرتقاء بمستوى اللفظ أم المعنى، فلا يمكن أن نغفل لما لها من قيمة فنيّة، تظهر في العمل الأدبي ، وتزيد من قيمته الجمالية.

ومن أهم هذه الأساليب البلاغية والفنيّة، التي ظهرت في قصائد شعراء ملوك بني عبّاد، وأسهمت بدورها في إجلال صورتهم وتعزيزها، ما يأتي:

أولاً : الصورة الفنيّة :

وتتسم الصورة الشعرية عند الشعراء باعتمادها على التجسيم والتشخيص والوصف، إذ يخلع الشاعر على الصورة حركة وحياء وصفات ومشاعر إنسانية ، تمثّل الطبيعة ، وتجعلها ماثلة أمام المتلقي كأنّه يراها.¹

وكانت ضروب علم البيان من تشبيه، واستعارة، وكناية أبرز ما ارتكز عليه بناء قصائدهم، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

1- التشبيه :

التشبيه هو: التمثيل، وهو مصدر من الفعل شبّه²، وقيل: " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبةً كليةً كان إياه، ويكون في الشعر وسائر الكلام بأداة تشبيه أو غيرها " ³.

ومن الأمثلة على التشبيه ما قاله ابن حمديس في مدح المعتمد مصوراً أسنة الملك ورماحه بالشهب الحارقة، التي تلاحق الأعداء، فترجمهم بنارها، فيقول:

¹ ينظر: نجا، أشرف محمود : قصيدة المديح في الأندلس ، ص 223 .

² ينظر: عتيق، عبد العزيز: علم البيان ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2004م ، ص 46 .

³ الفيرواني ، ابن رشيق : العمدة ، ج 1، ص 256 .

{البسيط}

كَأَنَّ شُهْبَ رَجُومٍ فِي أَسِنَّتِهِ يُرْدِي بِهَا مِنْ طَغَاةِ الْكُفْرِ مَنْ وَرَدَا¹

فيما يصور ابن شرف القيرواني تطاير رؤوس الأعداء، بأبيات الشعر، التي تخلص من القوافي، في مشهد يرمي الشاعر من خلاله إلى إيضاح الحدث وتقريبه إلى ذهن المتلقي، فيقول:

{الكامل}

فَكَأَنَّما الأَجْسامُ بَعْدَ رُؤُوسِها أَبْياتُ شِعْرِ ما لَهْنَ قَوافِ²

وفي موضع آخر يقول المعتمد مصوراً حاله في الأسر:

{الكامل}

قَدْ كانَ كالثَّعبانِ رُمْحُكَ في الوَرى فَعَدَا عَلَيْكَ القَيْدُ كالثُّعبانِ³

حيث شبه الشاعر رمحه بالثعبان الذي يلقف رؤوس الأعداء ويقضي عليها، وقد أحالها إلى صورة مغايرة حين جعل القيد ثعباناً يشدُّ وثاقه على يديه في الأسر.

2 – الاستعارة :

يرى ابن رشيق أنَّ الاستعارة هي " أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت منزلها " ⁴. وقد استخدم العرب الاستعارة؛ لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم وليس هذا في لسان غير لسانهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة، ربما كانت مفردة له، وبما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعاروا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز ⁵.

¹ ابن حمديس : الديوان ، ص 170 .

² ابن شرف : الديوان ، ص 74 .

³ التلمساني ، المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 4 ، ص 219 .

⁴ القيرواني ، ابن رشيق : العمدة ، ج 1، ص 235 .

⁵ ابن جعفر، قدامة : نقد النثر ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 1980م ، ص 64 .

وورد أسلوب الاستعارة بنوعها التصريحية والمكنية في أكثر من موضع عند شعراء ملوك بني عبّاد، ومثال ذلك قول أبي بكر بن نصر في مدح القاضي أبي القاسم:

{الطويل}

لِيَعْتَمِدَ الْوَرَادُ بَحْرَ يَمِينِهِ فَذَلِكَ بَحْرٌ طَامِحُ الْمَوْجِ مُزْبَدُهُ¹

ففي البيت السابق استعارة تصريحية، حيث شبه الشاعر يد الممدوح بالبحر الزاخر، الذي يجود بعطائه على الخلائق.
وفي قول ابن حمديس لدى خلع المعتمد من ملكه:

{الطويل}

حَسَامٌ كَفَاحٍ بَاتَ فِي السَّجْنِ مَغْمَدًا وَأَصْبَحَ مِنْ حَلِيِّ الرِّيَاسَةِ عَارِيَا
وَلَيْثٌ حَرُوبٍ فِيهِ أَعْدَاؤُا بَرَقُّهُ وَقَدْ كَانَ مَقْدَامًا عَلَى اللَّيْثِ عَادِيَا
فِيَا جَبَلًا هَدَّ الزَّمَانُ هَضَابَهُ أَمَا كُنْتَ بِالْتَّمَكِينِ فِي الْعِزِّ رَاسِيَا²

فالملك حسامٌ أصبح السجن غمده ، وليثٌ أُحيل إلى عبدٍ امتلك الأسياد رقه بعد أن كان مقداماً يهزم الليوث الضواري من الأعداء، وهو جبلٌ هدَّت الخطوب هضابه، فانهار ودلّ من بعد عزّه، وهذا على سبيل الاستعارة التصريحية، ومن باب الاستعارة المكنية تصوير الشاعر في الأبيات السابقة الرياسة بالحليّ التي تجرّد المعتمد منها بعد خلعها من حكمه.

3 - الكناية :

هي في اللغة مصدر " كَنَيْتَ " بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به، والكناية في اصطلاح أهل البلاغة: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، ومع جواز إرادة ذلك المعنى³.
ويقف القارئ في شعر الأندلسيين من شعراء بلاط بني عبّاد على أمثلة كثيرة، وُظِّفت فيها الكناية ؛ لوصفهم والإشادة بهم.

ومن ذلك قول ابن عبدون يصف كرم المعتمد وبأسه:

¹ الحميري ، أبو الوليد : البديع في وصف الربيع ، ص 57 .

² ابن حمديس : الديوان ، ص 531 .

³ عتيق ، عبد العزيز : علم البيان ، ص 152 .

{البسيط}

تراه إن تدعُهُ يومِي ندىً ووغىً النارَ في عَرَفَجٍ¹ والماءَ في صَبَبٍ²

فالشاعر يَكْنِي عن بأس المعتمد بالنار المنقذة، فيما يجعل الماء الزلال المنساب كنايةً عن كرمه وبسطته.

ويكْنِي عبد الجليل بن وهبون عن عظمة الممدوح ، وانقياد الناس له، وإذعانهم لسلطته، والتفافهم حوله بقوله:

{البسيط}

إن كان ثوبُكَ مختصاً بلبسهِ فقد تعلَّقَ من أديالهِ البِشْرُ³

ثانياً : المحسنات البديعية :

البديع علم يقصد به تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة، بخلوها من التعقيد. والبديع ضربان، أحدهما يعني بتحسين المعنى، والآخر يعني بتحسين اللفظ⁴. وقد عُني الشعراء الأندلسيون بترصيع قصائدهم بألوان البديع المختلفة؛ حرصاً منهم على أن تظهر قصائدهم في حليةٍ ووشي، تجذب المتلقي وتطربه. وفيما يأتي عرضٌ لأبرز فنون البديع التي تناولها أولئك الشعراء:

1 – الطباق :

يجمع البلاغيون على أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد⁵. وتسمّى كذلك التضاد، وتكون بلفظين من نوع اسمين أو فعلين، والطاق نوعان: طباق سلب، وطاق إيجاب⁶.

¹ العرفج : نوع من أنواع الشجر .

² ابن عبدون : الديوان ، ص 115 .

³ الشنتريني، ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق2 م 1 ، ص 504 .

⁴ ينظر، عتيق، عبد العزيز : علم البديع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 76 .

⁵ ينظر، العسكري ، أبو هلال : الصناعتين ، ص 307 .

⁶ ينظر: القزويني ، جلال الدين : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه وشرحه ، عبد الرحمن البرقوتي ، بيروت – لبنان

، دار الكتاب العربي ، ص 348 _ 350 .

ومن أمثلة الطباق ما جاء في قول الشاعر عبد الجليل بن وهبون خاطباً المعتمد:

{الكامل}

قسَمَ الأَنَامُ تراثَ علمِكَ فَاسْتَوَى فِي نِيئِهِ البُعْدَاءُ والقُرَبَاءُ
كُنَّا عبيدِكَ فِي اعتقادِ نفوسِنَا إِذْ فِي اعتقادِكَ أَنَّنَا أَبْنَاءُ¹

حيث عمد الشاعر إلى استخدام لفظة (البعداء) وضدها (القرباء)؛ ليؤكد عظم وشمولية علم الملك، الذي يناله القاصي والداني .
وفي قول ابن عبدون أيضاً:

{البيسط}

يَمْرُ مَرَّ الغَمَامِ الجُونِ يَتَّبِعُ مِنْ لَحْمِ أَبَارِيقٍ تَرغِيبٍ وَتَرهيبٍ²

و يجعل الشاعر من عطاء المعتمد غماماً يمطرُ ؛ ترغيباً بكرمه وسخائه، وترهيباً من قوته وبطشه، كالسحاب الممطر خوفاً وطمعاً.
ويوظف كذلك ابن حمديس الطباق في لفظتي (أمن، ووجل) لبيِّن هيبة الممدوح وقوته:

{السريع}

أَسَدٌ عَلَى الفُرْسَانِ يَفْرِسُهَا عِنْدَ انقِراضِ الأَمْنِ بِالوَجَلِ³

فالملك أسدٌ يفتك بأعدائه ويحيل أمنهم الذي يتمتعون به إلى خوف ووجل.

2 - المقابلة :

عرّف صاحب الصناعتين المقابلة " بإيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة " ⁴.

¹ الشنتريني ، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1 ، ص 485 .

² ابن عبدون : الديوان ، ص 113 .

³ ابن حمديس : الديوان ، ص 374 .

⁴ العسكري ، أبو هلال : الصناعتين ، ص 337 .

" وهي مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم، وأكثر ماتجيء في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة " ¹.

ومثال ذلك قول ابن حمديس:

{الطويل}

هناك تَنَيْتَ الكُفْرَ خزيانَ باكيًا نعم، ورددتَ الدينَ جذلانَ باسمًا²

إذ قابل الشاعر بين صورة الكفر بعد أن دحرتَه جنود المعتمد فردوه باكيًا ذليلاً، وصورة الدين الإسلامي الظافر المؤيد بعد هذا الانتصار العظيم.

وقوله أيضاً في مثل المعنى السابق :

{الطويل}

وَأَنْ باتَ من والاكَ في نشوةِ الغنى وَأَصْبَحَ مَنْ عاداكَ في غمرةِ الردى³

وقول ابن زيدون :

{ الوافر }

سميعُ النَّصرِ لاستعداءِ جارٍ أَصمُّ الجودِ عن تفنيدِ لاجي⁴

فالملك في هذه الأبيات سميع لاستغاثة جاره ، أصم عن افتراء عدوه وزيفه .

¹ القيرواني ، ابن رشيق : العمدة ، ج 2 ، ص 15 .

² ابن حمديس : الديوان ، ص 427 .

³ المصدر السابق ، ص 516 .

⁴ ابن زيدون : ديوانه ورسائله ، ص 489 .

المبحث الرابع: الموسيقى الشعرية

يعدُّ البناء الموسيقيّ جزءاً رئيساً من بناء النص الأدبي، ففي انسجام المفردات، وما تحدّثه تفاعلات وحداتها اللغوية، وتمازج أصواتها ومعانيها، وما ينشأ عنه من إيقاع، ونغم يؤثر في جذب المتلقي، واستدعاء ذهنه؛ ليعرف ما يدور في خفايا نفس الشاعر، وما تضمّره أفكاره من انفعالات وأحاسيس¹.

وسيتناول هذا المبحث الموسيقى الشعرية عند شعراء ملوك بني عبّاد؛ لما لها من أهمية في إيضاح معالم صورتهم.

أولاً – الموسيقى الداخلية :

عمد الشعراء إلى انتقاء ألفاظ تتسجم وأغراضهم الشعرية، وتحقق لشعرهم انسياباً ونعومة، فيصل إلى أذن المتلقي، ويترك في نفسه أثراً، وفي روحه سروراً، ومن النماذج على ذلك:

1 – الجناس :

الجناس تشابه اللفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، ولا يشترط فيه تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما تعرف به المجانسة، وهو نوعان: جناس تام، وآخر ناقص². ويضيف الجناس على الشعر جرساً موسيقياً عذّباً، ينتج عن تكرار الكلمات، فيحدث في نفس المتلقي وقعاً و أثراً.

ومن أمثلة الجناس ما جاء في قول ابن زيدون:

{الوافر}

يُقَصِّرُ قَرْبُكَ لِيَلِي الطَّوِيلَا وَيَشْفِي وَصَالِكَ قَلْبِي العَلِيَا³

¹ ينظر : نجا ، أشرف محمود : قصيدة المديح في الأندلس ، ص 247 .

² ينظر : عتيق ، عبد العزيز: علم البديع ، ص 196 _ 197 .

³ ابن زيدون : الديوان ، ص 550 .

يظهر الجناس في كلمتي " طويلاً " و " عليلاً " وهو من قبيل الجناس الناقص، الذي أحدث
لحناً موسيقياً جميلاً في البيت الشعري.

ومن أمثلة الجناس أيضاً ما جاء في قول ابن اللبانة:

{ الطويل }

رماه من حيث لم تستره سابعةً دهرٌ مصيباتُهُ نبلٌ مصيباتُ
وكان ملءَ عَيَانِ الْعَيْنِ تُبْصِرُهُ و للأمانِيّ في مرآه مرآة¹

فقد جاء الجناس بين كلمتي " مُصِيبَات " بمعنى خطوب ومصائب و " مُصِيبَات " بمعنى
الصائبة التي تصيب الهدف، وهو من الجناس التام، وكذلك في كلمتي " مرآه " بمعنى رؤيته و
" مرآة " بمعنى الأداة التي تعكس الصور، ويلاحظ ما أضفت أنواع الجناس على الأبيات الشعرية
من رونق وانسيابية.

2 – لزوم ما لا يلزم :

يعدّ الالتزام من الفنون البديعية اللفظية ويعني " أن يلتزم الشاعر في شعره قبل روي
البيت من الشعر حرفاً فصاعداً، على قدر قوته، وبحسب طاقته، مشروطاً بعدم الكلفة " ².
ومن الأمثلة على ذلك قول حسان بن المصيصي، وقد التزم قافيتي " الألف و الحاء ":

{الكامل}

لَيْسَ الْمَلَاحَةُ فِي الْوَجْهِ تَرْوِقُنِي يَوْمًا إِذَا الْأَخْلَاقُ كُنَّ قَبَاحًا
سَبْحَانَ مَنْ خَصَّ الْمُوَيْدَ بِالْعَلَا كَمَلًا وَعَمَّ بِحَبِّهِ الْأَرْوَاحَا
مَلَأَتْ بَطَاعَتِهِ الْقُلُوبَ أَنَاتُهُ أَضْعَافَ مَا مَلَأَتْ لُهَاهُ الرَّاحَا³

ومثال آخر قول ابن زيدون، وقد التزم قافية " الألف و الدال " في قصيدته:

¹ ابن اللبانة : الديوان ، ص 37 .

² ابن أبي الإصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد : تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ، تقديم وتحقيق : حنفي محمد
شرف ، الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ، 1963م ، ج2، ص 517 .

³ الشنتريني، ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1، ص 446 .

{الكامل}

إِنْ أُغْتَرِبَ فَمَوَاقِعَ الْكَرَمِ الَّذِي فِي الْغَرْبِ شِمْتُ بِرَوْقَهُ أَرْتَادُ
أَوْ أَنَا عَنْ صَيْدٍ¹ الْمَلُوكِ بَجَانِبِي فَهَمُّ الْعَبِيدُ مَلِيكُهُمْ "عَبَّادُ"
الْمَجْدُ عُدْرٌ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ نَأَى لِيَرَى الْمَصَانِعَ مِنْهُ كَيْفَ تُشَادُ
لَا تَعْدَمَنَّ مِنَ الْحُظُوظِ ذَخِيرَةً تَبْقَى ، فَلَا يَتَلَوُ الْبِقَاءَ نَفَادُ²

3 - التصريح :

يعرّف التصريح باستواء آخر جزء في الصدر، وآخر جزء في العجز، في الوزن و الإعراب و التقفية " 3

وقد اهتم الأندلسيون بتوظيف التصريح في قصائدهم، واعتنوا بتكرار الأصوات، التي تشدُّ انتباه ملوكهم وتثير اهتمامهم، ومثال ذلك قول ابن اللبانة :

{الكامل}

ضَحْكُ الرَّبِيعِ بَحِيثُ تَلْكَ الْأَرْبَعُ لَمَّا بَكَى لِلغَيْثِ فِيهِ مَدْمَعُ⁴
وقول حسان بن المصيصي:

{المتقارب}

بِإِضْ أَيْدِيكَ تَحْكِي الصِّفَاحُ وَمِثْلَ نَفَائِكَ تَحْذُو الرِّمَّاحُ⁵
وقول أبي بكر بن الملح:

{الكامل}

سَكَنَ اشْتِيَاؤُكَ مَا عَدَا عَمَّا بَدَا أَرَوَيْتَ أَمْ حَمَتِ الْخُطُوبُ الْوَرْدَا⁶

وفي استخدام التصريح أيضاً انعكاس معنوي لأحاسيس الشاعر وعواطفه، كقول ابن حمديس في المعتمد بعد عزله:

¹ الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك المعترز بملكه ، أو رافع رأسه كبيراً ، أو الأسد .

² ابن زيدون : الديوان ، ص 506 - 515 .

³ ابن أبي الإصبع ، عبد العظيم : تحرير التحبير ، ج 2 ، ص 305 .

⁴ ابن اللبانة : الديوان ، ص 87 .

⁵ الشنتريني ، ابن بسّام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 م 1 ، ص 444 .

⁶ المصدر السابق : ص 454 .

{الطويل}

جَرى بِكَ جَدًّا بِالْكَرَامِ عَثُورٌ وَجَارَ زَمَانٌ كُنْتَ فِيهِ تُجِيرُ

لَقَدْ أَصْبَحَتْ بَيْضُ الظُّبَا فِي غَمُودِهَا إِنَاثًا لَتَرَكَ الضَّرْبِ وَهِيَ ذُكُورٌ¹

فقد نقل الشاعر من خلال هذا الفن، صورة حزينة، توضح المفارقة بين ماكان عليه المعتمد في الماضي، وماآل بعد أسرهِ و ذهاب مجده.
وقول ابن اللبانة متأسفًا على ماأصاب المعتمد وأبناءه بعد خلعهم:

{البسيط}

أذكى القلوبَ أسى أبكى العيون دَمًا خَطْبٌ وَجَدْنَاكَ فِيهِ يُشْبِهُ العَدَمًا²

ثانيًا- الموسيقى الخارجية :

تتنظم إيقاعات الموسيقى الخارجية على عنصرين رئيسين، وهما: الوزن، والقافية.

1- الوزن :

لقد أدرك الشعراء الأندلسيون ما للوزن الشعري من أهمية في البناء الموسيقي للقصيدة؛ فاعتنوا بتنوع أوزانهم، بما يناسب تدفقاتهم العاطفية، وما تجود به قرائحهم الإبداعية، فوجدوا في النظم على البحور (الكامل، والطويل، والبسيط، والوافر) ما يحقق مبتغاهم، ويلائم أغراضهم الشعرية.

ولعلمهم استخدموا البحر الكامل للتأكيد على كمال الممدوح، وخلوه من العيب والنقص، فهو بحرٌ رقيقٌ يصلح للوصف والغزل³، ويرقى للتعبير عمّا في الملك من صفات الجود، والجمال، و بهاء المحيّا.

كما جاء استخدامهم للبحر الطويل؛ لاستيعابه ما يعتمل في داخلهم من مشاعر نطقت بها ألسنتهم ؛ معبرين عن حماسة الملك، وشجاعته، وحلمه، فهو أطول البحور الشعرية، ولا يأتي إلّا تامًّا⁴.

¹ ابن حمديس : الديوان ، ص 268 .

² ابن اللبانة : الديوان ، ص 120 .

³ ينظر : الأسعد ، عمر : علم العروض والقافية ، ط 4 ، عالم الكتب الحديث، عمان، 2004م ، ص 41 .

⁴ أبو عمشة، عادل : العروض والقافية ، مكتبة خالد بن الوليد ، نابلس، 1986 م ، ص 55 .

ورأوا في استخدام البحر البسيط، بعذوبته وسهولة وزنه، ما يساعدهم في التعبير عن آمالهم في العطايا والهبات، وللتنفيس عن أحزانهم وأشجانهم عندما فقدوا ملوكهم العظماء¹. ولوزن البحر الوافر رشاقةً ولين فيتسرب ماينظم من شعرٍ على وزنه إلى نفس المتلقي، فيشارك الشاعر عواطفه وأحاسيسه . فالوافر اسم فعل من (وفر الشيء يفر وفوراً) بمعنى الغنى وسمي كذلك ؛ لكثرة تفعيلاته²، ويأتي بعد هذه البحور استخداماً لبحورٍ أخرى مثل: السريع والمنسرح، والمتقارب، والخفيف.

2- القافية :

القافية هي آخر حرفٍ ساكنٍ في البيت، إلى أول ساكنٍ يليه من قبله، مع الحرف الذي قبل هذا الساكن³.

وتمنح القافية الشعرَ إيقاعاً موسيقياً يستأثر بالأذن ؛ فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها، وترتكز على الرويِّ الذي تُبنى عليه القصيدة، وتتنسب إليه⁴. وقد تعددت القوافي التي طرقها الشعراء الأندلسيون، وتناسبت مع أغراضهم الشعرية، فيلاحظ إكثار الشعراء من استخدام قافية الدال، فهو صوتٌ مجهور يوقظ السامع، ويلفت انتباهه، ويلتصق أسماء الممدوحين من ملوك بني عبّاد؛ فالدال خاتمة (عبّاد، والمعتمد، والمعتمد) وهي توافق هوى الممدوح، إذ إنها تجعله على يقين بأنّ الشاعر ما نظم قصيدته إلاّ للتغني باسمه ولقبه، ومثال ذلك قول ابن اللبانة في آل عبّاد:

{ الخفيف }

مِنْ بَنِي الْمُنْذِرِينَ وَهُوَ أَنْتَسَابُ زَادَهُ فِي فَخْرِهِ بَنُو عَبَّادٍ⁵

وقول ابن حمديس في المعتمد:

{ الكامل }

الآنَ أَفْرَخَ رَوْعَ كُلِّ مُهَيِّدٍ وَأَعَزَّ دِينَ مُحَمَّدٍ بِمَحْمَدٍ⁶

¹ الأسعد ، عمر : علم العروض والقافية ، ص 41 .

² أبو عمشة ، عادل : العروض والقافية ، ص 77 .

³ المرجع السابق ، ص 174 .

⁴ أنيس، إبراهيم : موسيقا الشعر ، ص 246 .

⁵ ابن اللبانة ، الديوان ، ص 49 .

⁶ ابن حمديس ، الديوان ، ص 102 .

وقوله أيضاً موظفاً لقب المعتمد :

{ البسيط }

فَالدِّينُ مُعْتَمِدٌ مِنْهُ عَلَى مَلِكٍ يُمَسِّي وَيُضْحِي عَلَى الرَّحْمَنِ مُعْتَمِداً
كَأَنَّ شُهْبَ رَجُومٍ فِي أَسْنَتِهِ يُرْدِي بِهَا مِنْ طَغَاةِ الْكُفْرِ مَنْ وَرَدَا¹

هذه أهم السمات الفنية التي وردت عند شعراء بلاط بني عبّاد ، وقد زيّتوا من خلالها
أشعارهم لتتناسب قدر المتلقي ، الذي دأبوا لنيل رضاه .

¹ ابن حمديس ، الديوان ، ص 170 .

الخاتمة

كشفت هذه الدراسة عن صورة ملوك بني عبّاد بين الشعراء والمؤرخين ، وهي صورة لم يتناولها الباحثون بالتحليل والنقد ، وإنما اكتفوا بالحديث العابر عنها في بطون كتبهم ، وطبّات مؤلفاتهم ، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج ، كان من أهمّها :

1- وضّحت الدراسة أهمّ عوامل سقوط الدولة الأموية في الأندلس ؛ إذ لم يكن انهيارها حدثاً طارئاً أو نتاج لحظة راهنة ، وإنما كان سقوطاً ذا أبعاد سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية .

2- قام عصر الطوائف على أعقاب انهيار الدولة الأموية ، وقد امتاز هذا العصر بواقع سياسي واجتماعي مضطرب .

3- تشكّل عصر الطوائف من عدد من الدول والإمارات التي انضوت تحت فئات اجتماعية مختلفة ، كالعرب ، والصفالبة ، والبربر ، و كان من أهمّ تلك الممالك: مملكة قرطبة ، وإشبيلية ، وغرناطة ، و طليطلة ، وقد اتّسمت هذه الممالك بكثرة حروبها ونزاعاتها ؛ رغبةً في السيطرة والتّوسع.

4- بسطت الأسرة العبّادية نفوذها على مملكة إشبيلية الواقعة في غرب الأندلس ، وتوارث الحكم فيها ثلاثة ملوك ، كان القاضي أبو القاسم أولهم ، وثانيهم المعتضد بن عبّاد ، فيما كان آخرهم ولده المعتمد .

5- بيّنت الدراسة عوامل الازدهار الأدبي والفكري الذي نشط في عصر الدّولة العبّادية ؛ إذ حظي الأدب باهتمام الولاة والأمراء ، وكثُر الشعراء المتنافسون على رضا ملوكهم ، ساعين للتقرب منهم ، ونيل هباتهم وعطاياهم ، كما وجد التأريخ مادة خصبة يرفد المؤلفات التاريخية ، وظهر عدد من المؤرخين النابهين ، كابن حيّان القرطبي ، وابن حزم الأندلسي.

6- تعاون المؤرخون والشعراء على رصد جوانب صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية ، والسلبية ، فعرض الشعراء لصورة ملوكهم من خلال أغراض شعرية مختلفة ، كالممدح والوصف والرتاء والهجاء .

7- وضّحت الدراسة أبرز معالم صورة ملوك بني عبّاد الإيجابية المتمثلة بكرمهم ، وجودهم، وشجاعتهم ، وبطولتهم ، ووسامتهم وحلمهم ، ومجدهم ورفعتهم .

8- كما التقطت هذه الدراسة صوراً سلبية لبني عبّاد ، فتحدّثت عن جبروتهم وطغيانهم ، وعبثهم ، وانكبابهم على الملذات والشهوات، إضافةً إلى صور أخرى جاءت على هيئة مقطوعات ونتاج شعريّة ، هجا بها أولئك الشعراء ملوكهم ، على الرغم مما تعرّض له الهجاء من محنة وتقييد ، وليس أدلّ على ذلك مما قاله الشعراء في سقوط الأندلس إذ لم يتطرقوا في رثاءها إلى ذكر الأسباب التي أدت إلى سقوطها بل اکتفوا ببكاءها وندبها ، وهذا دليلٌ بين على سياسة تكميم الأفواه التي عمّت الأندلس ، فهذا أبو البقاء الرندي يرثي الأندلس و يصف ما يعانيه أهلها من ذل وهوانٍ دون الوقوف على أسباب انهيارها بل يكتفي بندبها وبكاءها .

9- سار الشعراء في مدح ملوكهم على نهج قصائد المديح الجاهلية ، وعمدوا إلى المقدّمة الطللية والغزلية ، ليخلصوا منها إلى وصف ملوكهم ، وتعداد مناقبهم ، ويختتموها بما يجلب أسماع ممدوحهم ، فيحققوا بذلك غاياتهم من القرب والرضا ، ونيل العطايا.

10 - بذل الشعراء جهدهم في إرضاء ممدوحهم ؛ فتخيروا من الألفاظ والمعاني ما يرقى إلى منزلة ملوكهم ، ويعلي من شأنهم .

11 - تميّز شعر البلاط العبّادي بأساليب بلاغيّة مختلفة ، فاعتنى الشعراء بالمحسنات البديعية ، والمؤثرات الموسيقية التي نطقت بمزايا الملوك ، وعبرّت عن صفاتهم .

وفي الختام ، لا يمكن لهذا البحث المتواضع أن يلمّ بكل ما قيل في هذا الموضوع وحسبي أنّي اجتهدت وحاولت .

" تمّ بحمد الله "

المصادر والمراجع

• المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير: الحلة السيرة ، ج 1 ، ج2، تح: حسين مؤنس، ط 2، دار المعارف، 1985م .
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 1 ، ج 9 ، (د.ط)، دار صادر، بيروت ، 1966م .
- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1963م .
- ابن برد ، بشار : الديوان ، شرحه ورتبه : مهدي محمد ناصر الدين ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان ، 1993م .
- الأندلسي، ابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين . تح: عبد المتعال القاضي، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1973م .
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك: كتاب الصلوة، ق 1 ، مطابع سجل العرب ، 1966م .
- التلمساني، المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . ج 1، ج 2 ، ج 3 ، ج 4 ، ج6 تح : إحسان عباس، دار الشروق ، عمان، 1997م .
- ابن جعفر، قدامة : نقد النثر،(د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م .
- ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي ، م 2 ، تح: إحسان عباس، م2، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الأردن ، (د.ت) .
- ابن حمديس : الديوان، صححه وقدم له: إحسان عباس،(د.ط)، دار صادر، بيروت، 1960م.
- الحموي، ابن حجة: خزنة الأدب وغاية الأدب ، الطبعة الأخيرة، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، 2004م .
- الحموي ، ياقوت: معجم البلدان ، ج 1، ج 4 ، تح: فريد عبد العزيز الجندي . ط 4، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م .

- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر: *جدوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس* ، ق 2 ،
تح : إبراهيم الأبياري، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م .
- الحميري، محمد بن عبد المنعم: *الروض المعطار في خبر الأقطار* ، تح: إحسان عباس ، ط
2، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984م .
- الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد، *البديع في وصف الربيع*، تح: عبد الله عبد الرحيم
عسيلان، ط1، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م .
- الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي: *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، ج 3 ، (د.ط)، دار
المسيرة ، بيروت ، (د.ت) .
- ابن حيّان القرطبي: *المقتبس من أنباء أهل الأندلس* ، تح: محمود مكي، دار الكتاب العربي،
بيروت ، 1973م .
- ابن خاقان، الفتح: *قلائد العقيان في تراجم جملة من الرؤساء و الوزراء و جماعة من أعيان
القضاة و العلماء و الشعراء* ، (د.ط) ، القاهرة ، 1284م .
- ابن الخطيب، لسان الدين: *أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)* ، تح: ليفي بروفنسال ،
ط2 ، دار المكشوفة ، 1956م .
- *الإحاطة في أخبار غرناطة*، م 1 ، م 2 ، تح: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي
بالقاهرة ، القاهرة ، 1973م .
- ابن خلدون، عبد الرحمن: *تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام
العرب و العجم و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر)* ، م 1 ، م 2 ، م 4 ، ط 2، دار
الفكر، بيروت ، 1988م .
- الداني ، أبو بكر (ابن اللبانة) : *الديوان* ، تح : محمد مجيد السعيد، ط1، دار الراية للنشر
والتوزيع ، عمان- الأردن، 2008م .
- دوزي : *ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام* ، (د.ط)، مكتبة و مطبعة عيسى البابي
الحلبي ، 1933م .

- _ الذبياني ، النَّبْغَة : الديوان ، شرح وتعليق : حنا نصر حتّي ، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان ، 2004 م .
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت) .
- ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله ، تح:علي عبد العظيم ، تقديم : محمد إحسان النص، ط3، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت، 2004م .
- ابن شهيد، ديوان ابن شهيد ورسائله، جمع وتحقيق: محي الدين ديب ، ط 1 ،المكتبة العصرية ، بيروت، 1997م .
- _ الشريف الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن ادريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، م 2 ، ط 2 ، عالم الكتب، بيروت، 1989م .
- الشنتريني، ابن بسّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق1م1، ق1م2 ، ق2م1 ، تح : إحسان عباس، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، 1979م .
- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري: سراج الملوك، حققه و ضبطه: محمد أبو بكر، تقديم : شوقي ضيف ، ط 1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، 1994م .
- ابن عبّاد ، المعتمد : الديوان ، تح : أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد ، (د.ط) ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1951م .
- ابن عبدون، عبد المجيد: ديوان ابن عبدون في أعماله الأدبية (الشعر و النثر)، تح: سليم التنير، ط 1، دمشق، دار الكتاب العربي، 1988م .
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: الصناعتين، تح: علي محمد البيجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952م .
- القزويني، جلال الدين: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه، عبد الرحمن البرقوتي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان ، (د.ت) .
- القزويني، زكريا بن محمد: آثار البلاد و أخبار العباد،(د.ط)، دار صادر، بيروت،(د.ت).
- القيرواني، أبي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الجليل، ط 4، دار الجليل، بيروت _ لبنان، 1972م .

- القيرواني، أبو عبد الله محمد بن شرف، الديوان، تح: حسن ذكرى حسن، (د.ط)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1983م .
- القلقشندي، أبو العباس : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ج 15 ، تح : إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني ، القاهرة _ بيروت ، 1980م .
- _ المسعودي ، الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج 1، (د.ط) ، دار الكتاب اللبناني _ مكتبة المدرسة ، (د.ت) .
- المراكشي ، ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ج 2 ، ج 3 ، تح: ج.س كولان و ليفي بروفنسال، ط 2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م .
- المراكشي، عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج 2 ، تح: محمد سعيد العريان، ط3، القاهرة، 1963م .
- ابن منظور ، جمال بن مكرم ، لسان العرب ، (د.ط)، دار صادر، بيروت ، (د.ت).
- النويري،شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 23 ، تح: أحمد كمال زكي،(د.ط)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1992م .
- اليافعي،أبو محمد عبد الله، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج 3 ، مؤسسة الأعلمي، بيروت -لبنان،(د.ت) .

• المراجع

- أ.جى.بريل : موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج 17 ، ط 1 ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، 1998م .
- أباطة، ثورت: ابن عمّار، ط2، دار المعارف، مصر، 1958م .
- الأسعد، عمر: علم العروض والقافية،(د.ط)، عالم الكتب الحديث، عمان، 2004م .
- بالنثينا، أنجل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية، حسين مؤنس، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.ت).
- بدوي أحمد: أسس النقد الأدبي عند العرب،(د.ط)، نهضة مصر للطباعة والتوزيع ، 1994.
- بني ياسين، يوسف أحمد: علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري،(د.ط)، مؤسسة حمادة للدراسات، الأردن، 2002م .
- بيريس، هنري: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف(ملامحه العامة و موضوعاته الرئيسية وقيمه التوثيقية) ترجمة : الطاهر مكي، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1988م .
- بيضون، إبراهيم: الدولة العربية في إسبانيا، من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م .
- التوفيق، عمر إبراهيم : صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة (سياسياً واجتماعياً وثقافياً)، ط1، دار غيداء للنشر، عمان، 2012م.
- التونجي ، محمد : المعجم الذهبي في الدخيل على العربي ، ط 1 ، مكتبة لبنان _ بيروت ، 2009م .
- الجمل، شوقي: علم التاريخ (نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه) ط 2، دار المعارف، القاهرة ، 1987م .
- جوميث، إميليو جارتيا: الشعر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، ط 2، دار الرشاد، القاهرة، 2005م .

- الجبوسي، سلمى الخضراء: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج 1 ، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1998م .
- حتاملة، محمد عبده: موسوعة الديار الأندلسية، ج 1 ، ط 1، المكتبة الوطنية ، عمان، 1999م .
- الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة،(د.ط)، مطابع الدستور التجارية ، عمان، 2000م .
- الحجّي، عبد الرحمن علي: تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الاعتصام، القاهرة، 1983م .
- خليفة، عبد الكريم: ابن حزم الأندلسي (حياته و أدبه)، (د.ط) ، مطابع معتوق إخوان، بيروت، (د.ت) .
- الدغلي، محمد سعيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، ط 1، دار أسامة ، عمان، 1984م .
- ديورانت، ول : قصة الحضارة (عصر الإيمان) ، ج 13 _ 14 ، ترجمة : محمد بدران ، ط 2، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1964م .
- أبو زيدون، وديع: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2005م .
- السعيد، محمد مجيد: الشعر في ظل بني عبّاد، ط 1، مطبعة النعمان، النجف ، 1972م .
- سيسالم، عصام: جزر الأندلس المنسية ، ط 1 ، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م .
- الشريف الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 2، ط 2، عالم الكتب، بيروت، 1989م .
- الشكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه) ط 5 ، دار الملايين،بيروت،1983م.
- شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، ط 14، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، (د.ت)

- شلبي، سعد إسماعيل: البيئة الأندلسية و أثرها في الشعر (عصر الطوائف)، (د.ط) ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة ، 1987م .
- أبو صالح ، وائل : الإجازة في الشعر الأندلسي ، نابلس ، 1993م .
- العاني، محمد شهاب: الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف، ط1، دار دجلة، عمان - الأردن، 2011م .
- العبّادي، أحمد المختار: في تاريخ المغرب والأندلس،(د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية ، مصر، 2004م .
- عبّاس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف)،(د.ط)، دار الشروق، عمان، 1997م .
- عبد الرحيم، رائد : فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي،(د.ط)، دار الرازي، عمان، 2003م .
- ابن عبّود، امحمد: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ط1، مطابع الشويخ، تطوان، 1999م .
- عتيق، عبد العزيز: علم البيان،(د.ط)، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م .
- علم البديع ، (د.ط) ، دار النهضة العربية، بيروت ، (د.ت) .
- الأدب العربي في الأندلس ، ط 2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976م .
- العجم، رفيق: موسوعة مصطلحات علم التاريخ العربي و الاسلامي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2000م .
- عزّام، عبد الوهاب: المعتمد بن عبّاد، الملك الجواد والشاعر المرزأ،(د.ط)، دار المعارف، مصر، 1959م .
- عنان، محمد عبد الله : مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط 1، مطبعة الجديد، القاهرة، 1929م .
- دولة الإسلام في الأندلس(عصر الطوائف)، ط 4 ،مطبعة المديني ، القاهرة ، 1997م .

- عوض، عبد الفتاح: إشراقات أندلسية ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 2007م .
- مفتاح ، محمد : تحليل التناص الشعري ، ط 3 ، الدار البيضاء ، 1992م .
- مناعي، مبروك: الشعر والمال، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م .
- نجا ، أشرف محمود: قصيدة المديح في الأندلس، قضاياها الموضوعية والفنية (عصر الطوائف)، ط1، دار الوفاء ، الإسكندرية، 2003م .
- النوايسة ، نايف : معجم أسماء الأدوات واللوازم في التراث العربي ، ط 1 ، وزارة الثقافة، عمان ، 2000م .
- ويليك، رينيه/وارين، اوستن: نظرية الأدب، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م .

• الدوريات

- أحمد، أحمد رمضان: تطور علم التاريخ الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، م 13، ع 2، 1987م .
- أعراب ، الطرايسي أحمد : الأصوات النضالية والانهزامية ، مجلة عالم الفكر ، م 12 ، ع 1.
- البرقاوي، بسام: محنة الهجاء والهجائين في الأدب الأندلسي، حوليات الجامعة التونسية، (تونس)، ع 49، 2004م .
- بن لخضر، فورار امحمد: الهجاء السياسي في الأندلس زمن الفتنة، مجلة المخبر، أبحاث اللغة العربية والأدب الجزائري،(الجزائر)، جامعة بسكرة، ع 3، 2006م .
- الشرقي، منيرة بنت عبد الرحمن: ولاية العهد في إمارة بني أمية في الأندلس و أثرها في تثبيت البيت الأموي، مجلة الدارة، ع 2، 1426هـ ، السنة 31 .

- العميرة، محمد نايف: صراع الأمويين على الحكم في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل إلى سقوط الخلافة، مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات،(الأردن)، م 19، ع 3، 2004م .
- الفاسي، عبد الرحمن : البطشة الكبرى ، من أبي القاسم القاضي إلى أبي القاسم المعتمد ، مجلة المجمع العلمي العراقي،(العراق)، م 32 ، ج 3 _ 4.
- الفايز، فارس ظاهر: الجوانب الإيجابية والسلبية في تاريخ المسلمين، المجلة الثقافية،(الأردن)، ع 32، 1994م .
- الكيلاني، حلمي: السميصر: حياته و شعره، مؤتة للبحوث و الدراسات،(الأردن)، م 7، ع 1، 1992م .
- مؤنس، حسين: التاريخ و المؤرخون، عالم الفكر،(الكويت)، م 5، ع 1، 1974م .
- _ موسى ، فيروز : صور المقاومة في الشعر الأندلسي ، مجلة التراث العربي ، ع 128 ، شتاء 2013م .

• الرسائل الجامعية

- حميدي، خميسي: الحركة الأدبية في إشبيلية لزمن بني عبّاد، رسالة ماجستير،جامعة دمشق، 1983 _ 1984م .
- _ حوالة ، يوسف : بنو عبّاد في إشبيلية (دراسة سياسية و حضارية) ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية ، 1980م .
- خيط، محمد:المعتمد بن عبّاد (دراسة نفسية) رسالة ماجستير ، جامعة الأخوة منتوري ، الجمهورية الجزائرية ، 2004 _ 2005م .
- عفانة، فالنتينا: مملكة إشبيلية زمن بني عبّاد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2002م .

• مصادر الإنترنت

_ صالح ، إيمان محمد : العوامل المؤثرة في الفكر التاريخي في عصر الطوائف ، شبكة
الألوكة

[http : // www . alukah . net / Culture](http://www.alukah.net/Culture)

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

**The Views of Bani Abad's Kings Between
Poets and Historical**

By

Mays "Mohammed khamees" Ibrahim Khalili

Supervised

prof. Wael Abu Saleh

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of
Graduate Studies, An-Najah National University Nablus, Palestine.**

2014

The Views of Bani Abad's Kings Between Poets and Historical

By

Mays "Mohammed khamees" Ibrahim Khalili

Supervisor

Prof.Wael Abu Saleh

Abstract

This search discuss the The Views of Bani Abad's Kings Between Poets and Historicalas this views joined to draw the various drowns of this state which captured more than seventy years at that parties of the Andluans period.

This study has included introduction and three sections and the conclusion.

I've narrated in the first section about the parties ages from the point of social polics and athetic life and the main states and countries which shaped this age.

In the second section I've been shown the drawn of those kings positively and negativly as the historical and poets narrate in then poems.

In the third section I've made it particulary to talk about the main features of arts which distinguish for Ming the Poets of Bani Abad's Poems and the style of the poems language .